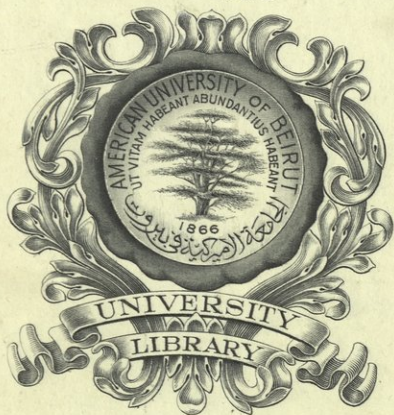


828
A933 pr A

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT











MS. 1.1.1.1

Cat. No. 1948

8283
A933p11

الكبرياء والبهوى

مقررة لطلبة السنة الرابعة الثانوية

بقلم
چين أستن

نقلها إلى العربية

محمد بدان

المراقب العام المساعد للثقافة العامة
بوزارة المعارف

67728

الناشر

دار الفكر العربي

شارع أمين باشا سمي بالمئيرة بالقاهرة

Cat. No. 1948



[Handwritten signature or scribble]

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٧

الفصل الأول

تحدثت مسز بنت إلى زوجها في يوم من الأيام قائلة : « عزيزي
مستر بنت ، هل سمعت أن بستان نذر فيلد قد عرض أخيراً
للإيجار ؟ » .

وأجابها مستر بنت بأنه لم يسمع هذا الخبر .
فردت عليه بقولها : « لكنه معروض للإيجار حقا ، فقد
كانت مسز لنج هنا توا وقد أفضت إلى بالقصة من أولها إلى آخرها »
ولم يحرم مستر بنت جوابا .
وصاحت به زوجته ، وقد نفد صبرها : « ألا تريد أن تعرف
من الذي أخذه ؟ »

« إنك أنت تريدين أن تخبريني بذلك ، ولست أمانع في أن
أسمعه منك »

وكانت هذه العبارة دعوة لها كافية .
« أجل يا عزيزي ، تقول مسز لنج إن نذر فيلد قد أخذه شاب
واسع الثراء من شمال إنجلترا ؛ وإنه جاء يوم الاثنين ليشاهد المكان ،
فلما رآه أعجب به إعجابا وافق معه على أن يستولى عليه من فوره ،
وسيجيء بعض خدمه ليسكنوا البيت قبل أن ينتهي هذا الأسبوع » .
« وما اسمه ؟ » .

« بنجلى » .

« وهل هو متزوج أو أعزب ؟ » .

« آه ، إنه أعزب يا عزيزى ما فى ذلك شك ! إنه رجل أعزب
موسر ؛ يبلغ دخله أربعة آلاف جنيه أو خمسة آلاف فى السنة ،
ألا ما أحسن حظ بناتنا ؟ » .

« وكيف يكون هذا ؟ وما علاقة هذا بهن ؟ »

وأجابته زوجته : « عزيزى مستر بنت ! كيف ترضى أن
تكون متعبا إلى هذا الحد ؟ إن عليك أن تعرف أنى أفكر فى أن
يتزوج بواحدة منهن » .

« وهل هذا هو قصده من إقامته هنا ؟ » .

« قصده ؟ هذا قول هراء ، ولست أدري كيف تلفظ بهذا
القول ! ولكن لا يبعد أن يشغف بحب واحدة منهن ، ولذلك يجب
عليك أن تزوره بمجرد مجيئه » .

« لست أرى ما يدعو إلى هذا ؛ إنى آذن لك أن تذهبي لزيارته
أنت والبنات ، أو أن ترسلي البنات له وحدهن ، وهذا خير من
ذهابك معهن ، لأنك لا تقلين جمالا عن أية واحدة منهن ، وقد
يجبك مستر بنجلى أكثر من حبه لساثر الجماعة » .

« إنك يا عزيزى تتملقنى . لقد كان لى ولا يزال نصيبى من
الجمال ، ولكن إذا كان للمرأة خمس بنات كبيرات وجب عليها أن
تقلع عن التفكير فى محاسنها . غير أنه يجب عليك من غير شك أن

تذهب لزيارة مستر بنجلى حين يأتى إلى هنا .

« أوكد لك أن هذا أكثر ما أستطيع أن أعدك به . »

« ولكن عليك أن تنظر فى أمر بناتك . إن عليك فى واقع

الأمر أن تذهب ، لأننا نحن يستحيل علينا أن نروره إذا لم نزره أنت . »

« إنك دون ريب تعنين أكثر مما يجب بصغائر الأمور .

ولست أشك فى أن مستر بنجلى يسره بلا ريب أن يراكن ، وسأرسل معك بضعة أسطر أوكد له فيها رضائى عن زواجه بمن يختار من البنات أيا كانت ، وإن كان على أن أذكر كلمة طيبة عن لوى الصغيرة . »

« أحب ألا تفعل شيئاً من هذا ، فليست لوى أحسن من سائر أخواتها فى قليل أو كثير ، ولكنك أنت لسبب ما تفضلها عنهن على الدوام . »

فرد عليها بقوله : « ليس لإحداهن ما يحبب الناس فيهن ، فكلهن سخيقات جاهلات كغيرهن من البنات ، ولكن لوى تتمتع بشيء من النشاط أكثر من أخواتها . »

« كيف تعيب بناتك يا مستر بنت بهذه الطريقة ؟ إنك ليسرك أن تفضبنى ، وإنك لا ترحم أعصابى المرهقة . »

« إنك يا عزيزتى تخطئين فى فهم قصدى ، إنى أجل أعصابك كل الإجلال ، فهن صديقاتى القديمات ، وقد سمعتك تذكرينهن

طوال السنين العشرين الماضية .

« آه ! إنك لا تعرف ما أقاسيه من ألم » .

وكان مستر بنت مريجا غريبا من البديهة السريعة ، والفكاهة الحادة ، والتحفظ ، والتقلب المفاجئ في عقله . وقد بلغ من هذا كله حدا لم تكف معه تجارب ثلاث وعشرين سنة لأن تمكن زوجته من فهم أخلاقه على حقيقتها . أما عقلها هي فقد كان فهمه أقل صعوبة من فهم عقل زوجها ، ذلك أنها كانت امرأة حمقاء ، إذا غضبت خالت نفسها مريضة ، وكان كل ما تعني به في الحياة أن تروج بناتها ، وكل ما يسرها أن تزور وتزار وتستمتع إلى الأخبار .

الفصل الثانى

وكان مستر بنت من أسبق الناس إلى زيارة مستر بنجلى . ذلك
لأنه كان ينتوى على الدوام أن يزوره ، وإن كان قد ظل إلى آخر لحظة
يؤكد لزواجه أنه لن يقوم بهذه الزيارة . لكنه كشف عن خبر
زيارته في مساء اليوم التالى لحيته .

وذلك أن مستر بنت رأى ابنته الثانية تصلح من شأن قبعتها
نخاطبها على حين غفلة بقوله :

« أرجو يا لى أن تعجب هذه القبعة مستر بنجلى » .

فردت عليه أمها بحدة : « ليس لدينا وسيلة لمعرفة ما يعجب
مستر بنجلى ، لأننا لا يُسمح لنا بزيارته » .

فأجابتها إلزبت بقولها : « ولكنك تنسين يا أماه أننا سنلتقى
به في حفلة الرقص العامة ، وأن مسز لنج قد وعدت أن تعرفنا به »
« لست أعتقد أن مسز لنج ستفعل شيئاً من هذا القبيل ، فإن لها
هى أيضا ابنتى أخت ، وهى امرأة أنانية لا ولاء لها ، ولست أحسن
الظن بها » .

وقال مستر بنت : « ولست أنا أيضا ممن يحسنون بها الظن ،
ويسرنى أن أعرف أنك لا تثقين بأنها ستؤدى لك خدمة ما »
ولم تشأ مسز بنت أن تجيب بشيء عن هذا ، ولكنها لم تستطع

أن تسيطر على نفسها ، فأخذت تؤنب إحدى بناتها بقولها :
« بربك يا كتي لاتسترسل في هذا السعال وارحمي أعصابي
بعض الرحمة » .

فقال والدها : « إن كتي لاتتبصر قط في أمر سعالها ، وهي
تختار له أسوأ الأوقات » .

فردت عليه كتي بقولها : « إني لا أسعل لأسلي نفسي بالسعال .
ومتى تكون حفلة رقصك الثانية يا لزي ؟ »
« بعد أسبوعين من غد » .

وقالت أمها : « نعم هي كذلك ، ولن تعود مسر لنج إلا في
اليوم الذي قبل الحفلة مباشرة ، ولهذا لن يكون في سماعها أن تعرفنا
به ، لأنها لن تكون هي نفسها قد عرفتته » .

« وإذن ففي وسعك يا عزيزتي أن يكون لك الفضل على صديقتك
فتقدمي مستر بنجلى لها » .

« هذا مستحيل يا مستر بنت ، مستحيل إذا كنت أنا نفسي
لا أعرفه . كيف ترضي أن تعطيني إلى هذا الحد ؟ » .

« إذا لم ترضي أنت أن تقومي بهذا الواجب فسأقوم به أنا نفسي »
وحذقت البنات بأبصارهن في والدهن ، وقالت مسر بنت :
« قول هراء ، قول هراء ! لقد ضقت ذرعا بالمستر بنجلى » .

« يؤسفني أن أسمع ذلك منك ؛ ولهم لم تقولي لي هذا من قبل ؟ »

وما من شك في أنني لو كنت قد عرفت هذا كله في صباح هذا اليوم لما زرته قط . إن هذا شيء يؤسف له كل الأسف ؛ ولما كنت قد قمت بالزيارة فعلا ، فلا مفر لنا من معرفته الآن » .

وكانت الدهشة التي استولت على السيدات هي عين الدهشة التي يرغب هو فيها ، ولعل مسر بنت كانت أكثرهن دهشة ، على أنها بعد أن ذهب عنها انفعالها الأول أعلنت أن هذا هو ما كانت تتوقعه على الدوام .

« ألا ما أحسن ما فعلت ! لقد كنت واثقة من أنك تحب بناتك حبا لا تستطيع معه أن تهمل التعرف برجل مثله . ألا ما أشد سرورى مما فعلت ، وإن في زيارتك إياه في صباح اليوم دون أن تنطق بكلمة واحدة عن هذه الزيارة حتى الآن لفكاهة طيبة أيضا » .

وقال مستر بنت وهو يغادر الحجرة متعبا من فرحة زوجته :
« والآن يا كيتي ، إن في وسعك أن تسعلى بقدر ما تشائين » .

وقالت أمهن بعد أن أغلق الباب : « ما أحسن والدكن أيها البنات ؛ ولست أعرف كيف تستطعن أن تكافئنه على حنوه ، وفي سعى أن أقول لكن إن الإنسان لا يسره كثيرا في هذه الأيام أن يتعرف بأناس جدد في كل يوم ، ولكننا نحن نفعل كل شيء إكراما لكن . ولست أخشى يالديدا أن أقول إن المستر بنجلى

سيراقصك في حفلة الرقص التالية وإن كنت أنت صغرى بناتي .
وقالت ليديا بقوة : « لست أخشى شيئاً ، فإني أطولهن قامة وإن
كنت أصغرن سن » .

وانقضى سائر المساء في التكهّن عن الوقت الذي سيرد فيه
زيارة مستر بنت ، وفي الاتفاق على موعد دعوته للعشاء .

الفصل الثالث

ولم يكف كل ما وجهته مسز بنت بمساعدة بناتها من الأسئلة في هذا الموضوع لأن يستخلص من زوجها وصفا كافيا للمسترنجنجلي ؛ ولذلك اضطررن أخيرا أن يقبلن معلومات غير مباشرة جاءت بها إليهن جارتهم السيدة لوكاس ، وكان حديثها عنه مرضيا غاية الرضا . فقد كان شابا في مقتبل العمر ذا جمال بارع ، وكان رقيق الطبع إلى أقصى حد ، وأكثر من هذا كله أنه اعتزم أن يحضر حفلة الرقص التالية ، وأى شيء أدعى من هذا إلى الغبطة ؟

وجاء مستر بنجلى بعد أيام قليلة ليرد الزيارة إلى المستر بنت ، وجلس معه في مكتبته نحو عشر دقائق . وكان يرجو أن يرى الفتيات اللاتي سمع الشيء الكثير عن جمالهن ، ولكنه لم ير إلا أباهن . أما الفتيات وأمهن فقد كن أسعد منه حظا ، فقد أتيحت لهن فرصة مشاهدته من إحدى نوافذ بيتهن العليا ، ورأينه لابساً سترة زرقاء ، ممتطيا ظهر جواد آدم .

وأرسلت إلى المستر بنجلى دعوة للعشاء بعد ذلك الوقت بقليل ، وكانت مسز بنت قد رتبت أمر العشاء ترتيبا يشهد بمهارتها في فن التدبير حين جاء جواب يؤجل الأمر كله . ذلك أن مستر بنجلى قد اضطر إلى أن يتغيب في المدينة (لندن) في اليوم الثاني ، ومن

أجل ذلك لم يكن في مقدوره أن ينال شرف تلبية الدعوة . وضايق ذلك مسز بنت كثيرا ، فقد بدأت تخشى أن يكون مستر بنت على سفر في كل يوم من مكان إلى مكان ، وألا يستقر قط في نذر فيلدا كما هو واجبه . ولكن ليدي لو كاس هدأت مخاوفها بأن ابتدعت فكرة أن ذهابه إلى لندن لم يكن إلا لدعوة عدد كبير من الناس إلى حفلة الرقص . ثم شاع عقب ذلك على الفور أن مستر بنجلى سيجيء معه بائنتى عشرة سيدة وبسبعة من كرام الرجال . وأحزن البنات بحىء هذا العدد الكبير من السيدات ، ثم ذهب عنهن حزنهن إذ وجدن حين دخلت الجماعة إلى المرقص أنها لا تزيد على خمسة أشخاص : مستر بنجلى ، وأختيه ، وزوج كبراهن ، وشاب آخر .

وكان مستر بنجلى جميل الطلعة دمث الأخلاق ، وكانت أخته سيدتين ظريفتين تبدو عليهما الأناقة . ولم يكن يظهر على المستر هرست زوج أخته أكثر من أنه سيد مهذب . أما مستر دارمى فسرعان ما استلفت أنظار من في الحجرة بقامته الطويلة الطريفة ، ومعارفه الجميلة ، وما ذاع عنه بين الحاضرين جميعا قبل أن يمضى على دخوله خمس دقائق من أن إirاده السنوى يبلغ عشرة آلاف جنيه . وظل الجميع ينظر إليه نظرة إعجاب نصف وقت السهرة تقريبا ، حتى أثارت تصرفاته اشمئزازهم ففضى بذلك على حظوته لديهم .

وكان مستر بنجلى قبل ذلك قد تعرف إلى جميع ذوى الشأن في الحجرة ، ورقص كل الرقصات ، وأسف لانهاء الحفلة في وقت

مبكر ، وذكر أنه سيقم هو نفسه حفلة في نذر فيلد . ألا ما أعظم الفرق بينه وبين صديقه ! لقد رقص مستر دارسى مرة واحدة لا غير مع مسز هرست وصرة مع الآنسة بنجلى ، وأبى أن يتعرف بأية سيدة أخرى ، وقضى بقية السهرة يتمشى في الحجرة ، وزاد كره المسز بنت لسوكة حين استخف بإحدى بناتها .

وذلك أن إلزبت بنت قد اضطرتها قلة الرجال لى الخروج من حلبة الرقص دورتين ، وكان مستر دارسى فى إحداها واقفا بالقرب منها بحيث تستطيع أن تستمع إلى حديث بينه وبين مستر بنجلى . وكان هذا قد خرج من الرقص بضعة دقائق ليستحث صديقه على أن يشترك فيه .

وقال له : « تعال يا دارسى . إنى لا أحب أن أراك واقفا وحدك هذه الوقفة السخيفة ، وخير لك كثيراً أن ترقص » .
« لا ! إنى لن أرقص ، فأختاك ترقصان ، وليس فى الحجرة كلها سيدة أخرى أحب أن أراقصها » .

وصاح بنجلى : « إنى لا أحب كل هذه العناية بصغار الأمور ولو كان ذلك من أجل مملكة ! وقسم لك بشرى أنى لم ألتق فى حياتى كلها بمثل هذا العدد من الفتيات الظريقات » .

وقال مستر دارسى وهو ينظر إلى كبرى بنات مسز بنت :
« إنك أنت تراقص الفتاة الجميلة الوحيدة فيهن » .
« نعم ؛ هى أجمل مخلوق رأيته فى حياتى ! ولكن إحدى

أخواتها تجلس بالقرب منك وهى جميلة جدا ، وفى وسمى أن أقول إنها
ظريفة كل الطرف . فاسمح لى أن أطلب إلى من تراقصنى أن
تقدمك لها .

فقال له : « أيتها نقصد ؟ ثم التفت وألقى نظرة عاجلة على إلزبت ،
فلما التقت عيناها بعينها أدار بصره عنها وقال فى فتور : « إنها
حسنة ، ولكنها ليس لها من الجمال ما يغربنى أنا بها » .

ثم سار من مكانه وبقيت إلزبت لا تشعر بكثير من الحب نحوه .
على أنها قصت القصة بحماسة عظيمة على صاحباتها لأنها كانت تسر
من كل ما هو مسخيف .

ومر المساء بوجه عام وأسرة مستر بنت كلها مغتبطة مسرورة .
ورأت مسز بنت أن الجماعة القادمة من نذر فيلد قد أعجبت كثيرا
بجين كبرى بناتها . فقد راقصها مستر بنجلى صرتين ، واختارتها
أختاه لتوجهها إليها نظراتهما . ولم تكن جين أقل سرورا من أمها
بهذا ، وإن كان سرور البنت كان أهدأ من سرور أمها . وأحست
للزبت بسرور جين ؛ وبذلك عادت الأسرة مغتبطة إلى لنجيبورن
وهى قرية من قرى هرتفوردشير كانت تسكن فيها وكانت هى أعظم
سكانها شأنا .

بنت أوامر
قد اشتغل قبل ذلك بالتجارة
ثروة لا بأس بها ، وارتقى إلى مرتبة الفرسان . ولعله قد شعر
بهذا الشرف أكثر مما كان يجب أن يشعر به ، فقد بعث فيه
اشمئزازاً من عمله ، ومن إقامته في بلدة صغيرة ذات سوق ؛ ومن
أجل ذلك ترك عمله وبلدته ، وآوى هو وأسرته إلى بيت على بعد
ميل من مرتين سماه : دار لوкас . ولكنه كان مع ذلك رجلاً
ودوداً جميل المعاشرة رغم افتخاره بمقامه العظيم .

وكانت زوجته امرأة طيبة غاية الطيبة ، لا تبلغ من المهارة حداً
يحملها جارة ذات قيمة لمسز بنت . وقد رزقت هي وزوجها عدة أبناء ،
وكان أكبرهم فتاة عاقلة ذكية في السابعة والعشرين من عمرها ،
وكانت صديقة عزيزة للإزبت .

وكان من أزم الأشياء أن تلتقي بنات لوкас وبنات بنت
ليتحدثن عن حفلة من حفلات الرقص ، وجاءت بنات لوкас إلى
لتجسرون في اليوم الذي أعقب الحفلة لهذا الغرض عينه .
وقالت مسز بنت بأدب متكلف إلى الأنسة لوкас :

يرجح بالتاكيد

« ... إلى شيء ما كما تعرفين »

فأجابتها شارلوت قائلة: « ولكن مستر دارسي غير جدير بأن
يستمع الناس إليه جدارة صديقه ، أليس كذلك ؟ مسكينه إليزه !
أيقول عنها إنها حسنة لا أكثر ؟ »

« أرجوك ألا توحى إلى ليزي بأن تستاء من سوء معاملته ، فهو
رجل بلغ من سوء الطبع حدا يجعل حبه لأي إنسان من سوء حظ
الذي يحبه ، وقد أخبرني مسز لنج مساء أمس أنه جلس بجوارها
نصف ساعة لم يفتح فيها فاه مرة واحدة » .

وقالت جين ! « وهل أنت واثقة مما تقولين يا أماء ؟ أليس ثمة
غلطة صغيرة في هذا ؟ لقد رأيت مستر دارسي يكلمها ما في
ذلك شك » .

نعم وكان ذلك لأنها سألته في آخر الأمر عن مبلغ حبه
لنذر فيلد ، ولم ير بدا من أن يجيب عن سؤالها ، ولكنها قالت إنه
غضب من أن يكلمه أحد » .

وقالت جين : « لقد أخبرني الآنسة بنجلي أنه لا يكتر من

الحديث إلا إذا كان بين من يعرفهم معرفة جيدة . فهو مع هؤلاء لطيف إلى أبعد حد .

« إني لا أصدق كلمة واحدة من هذا يا عزيزتي »
وقالت الأنسة لوكاس : « إني لا أعبا بعدم حديثه إلى مسز لنج ،
ولكنني كنت أود لو أنه راقص إلينا » .
وقالت أمها : « لو كنت مكانك يا نزي لما راقصته في المرة
الآتية » .

وقالت الأنسة لوكاس : « إن كبرياءه لا يسوءني بقدر ما يسوءني
الكبرياء عادة ، وذلك لأن له عذرا في هذا الكبرياء . إن الإنسان
لا يدهشه أن يزهو بنفسه شاب مثله ظريف ، ومن أسرة طيبة ،
واسع الثراء ، ممتع بكل شيء » .

وأجابتها إلزبت بقولها : « ذلك حق لا ريب فيه ، وقد كان يسعني
أن أصفح عن كبريائه لو لم يذل هو كبريائي » .

الفصل الخامس

وزارت سيدات لنجبورن سيدات نذرفيلد بعد وقت قصير ،
وردت الزيارة لهن رداً رسمياً ، وظلت أخلاق الأنسة بنت الظريفة
تستميل قلب مسز هرست والأنسة بنجلى ، وأبدت مسز هرست
والأنسة بنجلى رغبتهما فى أن توثقا صلاتهما بابنتى مستر بنت
الكبيرتين ، وإن كانتا قد وجدتا أن مسلك الأم لا يطاق ، وأن
الأختين الصغيرتين لا تستحقان أن يعنى الإنسان بالتحدث إليهما .
وتلقت چين هذه الرعاية بسرور لا يعادله سرور ، أما إلزبت فقد
رأت الكبرياء بادياً فى طريقة معاملتهما لكل إنسان حتى أختها
نفسها ، ولهذا لم تحبهما ؛ غير أنه لم يكن ثمة شك فى أن أختها كان
يعجب حقاً بچين . ولاحظت إلزبت أن چين أخذت تستسلم إلى
ذلك الميل الذى كانت تشعر به نحوه من بادى الأمر ، وأنها كانت
توشك أن تشغف به حباً .

وشغلت إلزبت بملاحظة التفات مستر بنجلى إلى أختها ، فلم
يدر بخلدتها أنها هى نفسها توشك أن تصبح موضع العناية من
صديقه . وذلك أن مستر دارسى قلما كان يعترف فى بادى الأمر
بأنها فتاة لطيفة ؛ فقد نظر إليها فى حفلة الرقص ولم يعجب بها ،
ولما التقيا المرة الثانية لم ينظر إليها إلا لى ينتقدها ، ولكنه

ما كاد يقرر أنه لا يكاد يوجد في وجهها شيء من المعارف الطيبة حتى أخذ يرى أن نظرات عينيها السوداوين الجميلة قد أضفت على هذا الوجه ذكاء غير عادى . ولم تعرف هى شيئاً عن هذا التغير ، فقد كانت لا ترى فيه إلا أنه هو الرجل الذى لم يكن ظريفاً فى أى مكان ، والذى لم ير فيها من الجمال ما يكفى لأن يغريه بمراقبتها .

وبدأ يتوق إلى أن يعرف عنها أكثر مما كان يعرف . واجتمعت فى بيت سير وليم لوكاس فى يوم من الأيام جماعة كبيرة من الناس ، وشغل عدد من السيدات وضابطان أو ثلاثة ضباط بالرقص فى أحد أطراف الحجرة ، ووقف مستر دارسى بجوارهم ، وأخذ سير وليم يحاول أن يغريه بالحديث . وحدث أن كانت إلزبت وقتئذ تتجه نحوه ، فلاح له أن يجاملها مجاملة لطيفة فنادها قائلاً :

« لم لا ترقصين يا عزيزتى الآنسة إلزا ؟ اسمح لى يا مستر دارسى أن أقدم لك هذه الفتاة لتراقصك ، وهى ممن يُرغب فى مراقبتها أشد رغبة . ولست أشك فى أنك لن ترفض أن ترقص إذا وجدت مثل هذا الجمال أمامك » . ثم أخذ بيدها وأوشك أن يسلمها إلى مستر دارسى ، ولم يكن هذا ليرفض الإمساك بها ، وإن كان هذا العمل قد أدهشه أشد دهشه ، ولسكنها هى جذبت يدها على الفور وقالت لسير وليم بشيء من الارتباك :

« فى الحق يا سيدى ، أنى ليست لى أقل رغبة فى الرقص ،

وأرجوك ألا تظن أنى قد أتجھت إلى هذه الناحية لأرجو من أحد أن يراقصنى .

وطلب إليها مستر دارسى فى أدب ووقار أن تأذن له بشرف الرقص معها ، ولكن ذلك لم يجده نفعا ، فقد أصرت إلزبت على رأيها ، ولم يفلح سير وليم فى أن يثنىها عن عزمها بما بذل من الجهد لإقناعها ، وكان مما قاله لها :

« إنك تفوقين سائر الفتيات فى الرقص يا آنسة إلزا ، ولهذا فإن من القسوة أن تحرمينى من أن أنال سعادة التمتع برؤيتك . ومع أن هذا السيد يكره اللهو بوجه عام ، فإنى لأشك فى أنه لن يرى قط ما يمنعه أن يتفضل علينا بمراقصتك نصف ساعة » .

فأجابته إلزبت وهى تبسم : « إن مستر دارسى يفيض رقة وأدبا » ، ثم ولت وجهها عنه . ولم تكن هذه المقاومة من جانبها مما يحط بمن قدرها فى عين هذا السيد ، وأخذ يفكر فيها بشيء من الإعجاب .

الفصل السادس

ولم تكن قرية لتجبرون تبعد عن بلدة صريتن أكثر من ميل واحد ؛ وهى مسافة يسهل على الفتيات أن يجتزئنها ، وكان ذلك يغريهن بالذهاب إليها ثلاث مرات فى الأسبوع أو أربعا ليقمن بواجب الزيارة والإجلال لإحدى الخالات ، وهى مسز فليس التى تزوجت بأحد المحامين ، ولتطلب من فوق ذلك فى حانوت للقبعات لا يبعد إلا قليلا عن الطريق العام . وكانت كترين وليديا أصغر فتيات الأسرة أكثرهن ترددا على خالتهن ، وكان فى مقدورها فى كل زيارة أن يتسقطا بعض الأخبار ، وقد استمدتا فى هذا الوقت كثيرا منها ، وذلك لأن فرقة من الجند قدمت إلى جوار البلدة على أن تبقى فى ذلك المكان طول الشتاء ، ومن أجل هذا لم تكونا تتحدثان إلا عن الضباط .

واستمع مسز بنت إلى صخبهما فى هذا الموضوع صباح يوم من الأيام ثم قال لهما بحدة .

« إن الذى أستطيع أن أستنتجه من طريقة حديثكما أنكما بنتان من أسخف بنات هذه البلاد » .

وخجلت كترين فلم تحر جوابا ، أما ليديا فلم تنقطع عن الحديث . وقالت مسز بنت : « إنى ليدعثنى يا عزيزى أن يكون لك مثل

هذا الاستعداد لأن تظن بناتك سخيقات ، والحق أنهن جميعا من
أنبه الفتيات » .

« تلك هي المسألة الوحيدة التي لا نتفق فيها » .

وحال بين مسز بنت وبين ردها على هذا القول دخول خادم
يحمل رسالة إلى الأنسة بنت مرسله من نذر فيلد . وأبرقت عينا
مسز بنت من فرط السرور ، وأخذت تصيح متحمسة بينا كانت
ابنتها تقرأ الرسالة :

« خبريني يا حنين ، من الذى بعث الرسالة ؟ وماذا فيها ؟ وماذا
يقول ؟ هيا يا حنين ، عجلى وخبرينا » .

وقالت حنين : « إنها من الأنسة بنجلى ، ثم أخذت تقرأها
بصوت عال .

بستان نذر فيلد

فى ١٠ أكتوبر

« عزيزتى حنين

هل تتفضلين بأن تتعشى معى ومع لوزا اليوم . سنكون وحدنا .
فعجلى بالحبىء قدر استطاعتك حين تصل إليك هذه الرسالة . إن أخى
وسائر الرجال سيقعشون مع الضباط .

صديقتك المخلصة على الدوام

كرولين بنجلى »

وقالت مسر بنت : « سيتعشون في الخارج ! إن هذا لأمر
يؤسف له أشد الأسف » .

« وقالت چين : « هل أستطيع أن أستقل العربة ؟ »
« لا يا عزيزتي ، نخير لك أن تمتطي جوادا ، لأن من المرجح أن
تمطر السماء ، فلا تجدين بدا في هذه الحال من البقاء هناك
طول الليل »

وقالت إلزبت : « وستكون هذه خطة حسنة ، إذا كنت
واثقة من أنهم لن يعرضوا عليها أن يرسلوها إلى منزلها » .
« ولكن الرجال سيكونون قد استقلوا عربة مستر بنجلى في
ذهابهم إلى مريت » .

« إنى أفضل كثيرا أن أستقل العربة » .
ولكن أباك يا عزيزتي لن يكون في غنى عن الجوادين ، فهو في
حاجة إليهما في المزرعة » .

من أجل هذا اضطرت چين أن تذهب على ظهر جواد ، وسارت
أما خلفها حتى الباب تشيعها بكثير من النبوءات الطيبة بأن يكون
يومها يوما ممطرا عبوسا . وتحققت آمالها ، فلم تسكد چين تسير غير بعيد
حتى أمطرت السماء مدرارا ، وقلقت عليها أختها ، ولكن أما
ابتهجت بذلك . وظل المطر يتساقط طول المساء لم ينقطع قط ،
وما من شك في أن چين لم تكن تستطيع العودة

وقالت مسر بنت : « لقد كانت فكرتي هذه في واقع الأمر فكرة موفقة » كأنما كانت هي وحدها صاحبة الفضل كله في نزول المطر . ولم يكد ينتهي الإفطار في صباح الغد حتى جاء خادم من نذرفيلد يحمل رسالة من جين إلى إلزبت تقول فيها إنها مريضة . وقال مستر بنت بعد أن قرأ الرسالة بصوت عال : « نعم ، يا عزيزتي ، إذا أصيبت ابنتك بمرض خطر — إذا ماتت — فإن من أسباب السلوى أن نعرف أن ذلك كله كان جريا وراء مستر بنجلى ، وتنفيذاً لأوامرك » .

« لا ، لست أخشى أن تموت ، فإن الناس لا يموتون من إصابات بالبرد تافهة ؛ إنها مستلاقي عناية طيبة » . وشعرت إلزبت بقلق حقيقي ، فاعتزمت أن تذهب إليها ، ولما كانت لم تعط العربدة ولم تكن تعرف كيف تركب الخيل ، فلم يكن أمامها من سبيل إلا أن تذهب إليها راجلة . وقالت لها أمها : « كيف يبلغ من سخفك أن تمشي في وسط هذه الأقدار كلها ! إنك لن تكوني خليقة بأن ينظر إليك أحد حين تصلين إلى هناك » .

« سأكون خليقة بأن أرى جين ، وهذا كل ما أرغب فيه » . وقالت كترين وليديا : « سنصحبك حتى مريتن ، وقبلت إلزبت أن يرافقها ، وسارت الفتيتان الثلاث معا » . وافترقن عند مريتن ، وواصلت إلزبت سيرها منفردة ، فأخذت

تعب الحقل حقلًا بعد حقل ، بخط سريعة ونشاط لا يصحبه صبر ،
حتى رأت نفسها أخيرا على مرأى من البيت ، وهى متعبة القدمين ،
قدرة الجوربين ، محمرة الوجه من حرارة جسمها وكثرة مشيها .

وأثار قدومها دهشة عظيمة ، واعتقدت إلزبت أن مسز هرست
والآنسة بنجلى تزدريانها لأنها مشيت على قدميها ثلاثة أميال فى الصباح
الباكر وفى مثل جو ذلك اليوم . على أنها استقبلت فى البيت استقبالا
حسنا ، فيه كثير من الأدب ، وبدا فى سلوك أخيهما شىء أكثر
من الأدب — بدت فيه الفكاهة العذبة والرقّة ؛ أما مستر دارسى فلم
ينطق إلا بالقليل ، فقد كان فى شغل عن الحديث بالإعجاب بالبريق
الذى علا وجهها من طول المشى .

ولم تكن أختها قد نامت مطلقا ، وكانت محمومة . وعادها الطبيب
وأشار عليها أن تعود إلى الفراش ، ووعد بأن يرسل لها بعض الدواء ،
واشتدت وطأة الحمى ، وأصيبت بصداع شديد .

وبقيت إلزبت معها حتى الساعة الثالثة ، ثم رأت أنه لا بد لها
أن تعود إلى منزلها ، غير أن حين أظهرت امتعاضها من فراقها ،
فاضطرت الآنسة بنجلى أن تدعوها للبقاء فى نذر فيلده مؤقّتا ، وقبلت
إلزبت هذه الدعوة شاكرة .

الفصل السابع

ودعيت إلزبت للعشاء في منتصف الساعة السابعة ، ولم تكن
چين قد شعرت بشيء من التحسن ؛ وحين سمعت الاختان هذا القول
كررتا ثلاث مرات أو أربعا قولهما إن ذلك يحزنهما كثيرا ، وإن
الإصابة بالبرد الشديد صدمة قوية ، وإنهما لا تحبان أن تمرضا ، ثم
لم تفكرتا بعد ذلك في الأمر .

وكان ما يعوزهما من العطف الحقيقي على چين ، حين لا تكون
حاضرة معهما فعلا ، يُدَكَّرُ إلزبت بما كانت تضمره لهما من بادی
الأمر من كراهية .

والحق أن أخاهما كان هو الشخص الوحيد الذي كان يبدو عليه
قلق على چين حقيقى غير متكلف . وكانت عنايته بإلزبت نفسها عناية
يفتبط بها أعظم اغتباط ، وقد حالت هذه العناية بينها وبين الاعتقاد
بأنها ضيف ثقيل غير مرغوب فيه ، كما كان يراها في اعتقادها غيره من
أهل الدار .

ولما انتهى العشاء عادت من فورها إلى چين ، ولم تك تد تخرج
من الحجرة حتى أخذت الأنسة بنجلى تظمن فيها . فقالت إن
أخلاقها سيئة للغاية — فهي مزيج من الكبرياء وسوء التربية ،
ولم تكن تحسن الحديث ، وأسلوبها فيه ردىء ، وهى عديمة الذوق ،

ليست على شيء من الجمال ، وكان هذا بعينه هو رأى مسز هرست ،
وزادت عليه قولها :

« وجلة القول أنها ليس فيها ما تحمد عليه إلا أنها تحسن المشي ،
ولن أنسى قط منظرها في صباح اليوم ، لقد كان أقرب الأشياء إلى
الحيوان البري » .

« لقد كانت كذلك حقاً يا لوزيا ، وكان شعرها أشعث » .
« نعم ، وثوبها أرجو أن تكوني قد رأيت ثوبها ، لقد غطى
الطين منه ست بوصات ، ليس لدى في ذلك شك قط » .

وقال بنجلي : « لقد اعتقدت أن الأنسة إلزبت بنت كانت تبدو
على أحسن حال حين دخلت الحجرة صباح اليوم ، أما ثوبها القذر فلم
يستلفت نظري مطلقاً ، ويدل قدومها على حبها لأختها حباً يُسرُّ له
الإنسان غاية السرور » .

وقالت مسز بنجلي بصوت يشبه الهمس : « أخشى يا مستر دارسى
أن تكون مغامرتها هذه قد أثرت بعض الشيء في إعجابك بعينيتها
الجميلتين » .

فأجابها بقوله : « كلا ، لم يؤثر فيّ قط ، بل إن عينها قد أبرقتا
من أثر رحلتها » .

وتلى ذلك صمت قصير بدأت بعده مسز هرست الحديث
من جديد :

« إني مشغوفة حبا بـجين بنت — لأنها في الحق بنت لطيفة
جدا — وإني لأتمنى من صميم قلبي أن تتزوج زواجا طيبا ، ولكنني
أخشى ألا تنجح لها تلك الفرصة نظراً لحال أبيها وانحطاط منزلة
أسرتها » .

وأجابها دارسي : « ما من شك في أن ذلك سيقبل من حظها
في الزواج برجل ذي مركز حسن » .

ولم يرد بنجلي على هذا القول جوابا ، ولكن أختيه وافقتا عليه
موافقة تامة ، وظللتا بعض الوقت تضحكان من انحطاط منزلة أسرة
صديقتيهما .

الفصل الثامن

وقضت لزيت معظم الليل في حجرة أختها ، فلما أصبح الصباح طلبت أن ترسل رسالة إلى لنجبورن تدعو فيها أمها أن تأتي لزيارة جين ، لتتأكد بنفسها من حالها . وأرسلت الرسالة على الفور ، وجاءت مسز بنت تصحبها ابنتاها الصغيرتان إلى نذر فيلد عقب فراغ الأسرة من تناول طعام الإفطار .

ولو أن مسز بنت وجدت جين في خطر حقيق لأمض ذلك قلبها ، ولكنها حين اقتنعت بعد رؤيتها أن مرضها ليس فيه شيء من الخطورة لم تكن ترغب في شفاؤها العاجل ، لأنها إذا استعادت صحتها انتقلت على الأرجح من نذر فيلد ، ومن أجل هذا لم تستمع إلى ما اقترحه ابنتها من عودتها إلى منزلها . وكذلك لم ير الطبيب ، وقد جاء لعيادتها في الوقت الذي جاءت فيه أمها تقريبا ، أنه يحسن بها أن تعود .

وكررت مسز بنت شكرها إلى مستر بنجلى لشفاقته على جين ، واعتذرت له عما سببه وجود لزي أيضا من مضايقة له . ورد عليها مستر بنجلى رداً ينطوي على الكرم والإخلاص ، وأرغم أخته الصغرى على أن تكون هي الأخرى مؤدبة . ومع أنها في واقع الأمر قد اضطلعت بهذا الواجب مرغمة ، فإن مسز بنت قد رضيت بهذا وغادرت البيت بعد قليل .

الفصل الثاني

وانقضى اليوم كما انقضى أمسه لم يفترق عنه إلا في القليل، وأخذت حين تستعيد صحتها ببطء . وجلست إلزبت مع الجماعة في مساء ذلك اليوم في حجرة الاستقبال ، وشرعت تقوم ببعض أشغال الإبرة ، وأخذ مستر دارسى وقتئذ يكتب رسالة .

ولما فرغ من كتابتها طلب إلى الأنسة بنجلى وإلى إلزبت أن تطرباه بشيء من الموسيقى ، فقامت لآنسة بنجلى بلهفة إلى البيان وطلبت إلى إلزبت في أدب أن تتقدمها ، ورجت إلزبت في مثل هذا الأدب أن تعفى من هذا ، وجلست الأنسة بنجلى إلى البيان .

وغفت مسز هرست مع أختها ، وبينما كانت الأختان مشغولتين بالعزف والغناء لم يكن يسع إلزبت إلا أن تلاحظ أن عيني مستر دارسى كانتا في معظم الأحيان تحدقان فيها . وقلما كانت تدرى كيف تظن أنها هي موضع إعجاب رجل عظيم مثله ، ولكن أغرب من هذا في اعتقادها أن يكون سبب نظراته إليها أنه ينفذها . ولم يكن يسعها إلا أن تظن أنها قد استلقت نظره خطأ فيها ، وهو ظن لم يؤلها ، فلم تكن هي تحبه حباً يجعلها تعنى برأيه فيها .

وبعد قليل من ذلك الوقت ، وبينما كانت الأنسة بنجلى تضرب نغمة مرحة اسكتلندية ، اقترب مستر دارسى من إلزبت وقال لها :
- « ألا تشعرين يا آنسة بنت جميل شديد إلى أن تنهزى هذه الفرصة لترقصي ؟ » .

وابتسمت ولكنها لم تجر جوابا ، وأعاد هو السؤال مصحوبا ببعض الدهشة من سكوتها .

فقلت له : « آه ! لقد سمعتك من قبل ، ولكنى لم أستطع أن أقرر من فورى أى شىء أجيبك به . وأنا أعرف أنك كنت تريدنى أن أقول نعم حتى تنعم بازدرء ذوقى ، ولكنى يسرنى على الدوام أن أفوت عليك قصدك ، ولهذا فقد قررت أن أقول لك إنى لا أريد أن أرقص ، ولك أن تدرينى الآن إذا جرؤت على ذلك » .

« فى الحق أننى لا أجرؤ » .

ودهشت إلزبت من أدبه لأنها كانت تتوقع بدلا من هذا أن يستاء منها ، ولكن سلوكها كان مزيجاً من اللطف والرح ، ومن أجل ذلك كان من الصعب أن تسيء إلى مخلوق ، ولم يكن دارسى قد أخذت بلبه امرأة كما أخذت به إلزبت . وفى الحق أنه كان يعتقد أنه لولا ضعة أسرتها لوقع فى خطر حبها .

ورأت الآنسة بنجلى مايكفى لأن يبعث الغيرة فى قلبها ، أو لعل قلبها قد حدثها بما يكفى لأن يبعث هذه الغيرة ، وزاد من قوة تطالعها بعض الشىء إلى شفاء صديقتها العزيزة حين رغبتهما فى أن يتخلصا من إلزبت .

الليلة

وكتبت إلزبت فى صباح اليوم التالى ، بناء على اتفاق بينهما وبين أختها ، رسالة إلى أمها ترجوها أن ترسل إليهما العربية فى ذلك اليوم . وردت عليهما مسر بنت تقول إن العربية لا يمكن أن تصلهما قبل يوم الثلاثاء ، بيد أن إلزبت صممت تصميا قاطعا على ألا تبقى فى هذه الدار

بعدئذ ولم تكن تتوقع كثيراً أن يطلب إليها البقاء ، ولهذا حرضت
چين على أن تستعير عربة مستر بنجلي على الفور .

وسمع رب الدار بأسف شديد أنهما تنتويان مفارقة داره بهذه
السرعة ، وحاول أكثر من مرة أن يقنع الأنسة بنت بأن في انتقالها
خطراً عليها ، ولكن چين كان من عادتها أن تثبت على رأيها إذا
اعتقدت أنها على حق ، ورحب مستر دارسى بهذا النبأ ، فقد كانت
إلزبت تستمليه أكثر مما يحب ، وكان حكيماً إذ صمم على أن يحذر من
أن يصدر منه ما يدل على إعجابه بها ؛ وثبت على هذا العزم فلم يتكلم إليها
طول ذلك اليوم إلا في القليل النادر . ومع أنهما قد قضيا نصف
ساعة منفردين في وقت من الأوقات ، فقد ظل منكبا على كتابه ولم
يلق إليها مجرد نظرة . وحدث الفراق في اليوم التالي ؛ ولم ترحب بهما
أمرهما ترحيباً عظيماً ، ولكن أباهما قد سره حقاً أن يراها ، ذلك أن
حديث السهرة كان قد فقد كثيراً من مرحه ومعظم معانيه في أثناء
غياب چين وإلزبت .

الفصل التاسع

وقال مستر بنت لزوجته وهما يفطران في صباح الغد : « أرجو يا عزيزتى أن تكونى قد أمرت بإعداد عشاء طيب في هذا اليوم ، لأنى أتوقع أن ينضم بعض الناس إلى أسرتنا فيه » .

« ومنذا الذى تقصد يا عزيزى ؟ لست أعرف أن أحداً سيأتى لزيارتنا . وأنا واثقة من هذا ، إلا إذا مرت بنا مصادفة شارلوت لوكاس ؟ وأظن أن عشاءنا يبلغ من الجودة درجة تليق بها » .
« إن الشخص الذى أتحدث عنه سيد ومن غير أهل هذا البلد » .

وأبرقت عينا مسر بنت : « سيد ومن غير أهل هذا البلد ! لست أشك في أنه مستر بنجلى ! إنك يا حين لم تنطق بكلمة واحدة عن هذا النبأ ، ولكن — رياه ! ما أسوأ حظنا ! إنما لن نجد قطعة من السمك في هذا اليوم ! دق الجرس يا عزيزتى ليديا . إن على أن أتحدث إلى الطاهى على الفور » .

وقال لها زوجها : « ليس هو مستر بنجلى ، بل هو شخص لم أره طول حياتى » .

وأثار هذا القول دهشة الجميع ، وسره أن يتلقى أمثلة حماسية من زوجته وبناته الخمس في وقت واحد .

وأخذ يسلي نفسه بعض الوقت بتشؤفهما ، ثم أفصح عن الأمر بقوله : « لقد تلقيت رسالة من وقت قصير . وكانت هذه الرسالة من قريبي مستر كلنز ، وهو رجل إذا مت قد يخرجكن جميعا من هذا البيت متى شاء » .

وكان من سوء حظ بنات مستر بنت أن أملاكه وهى مزرعة تغل ألنى جنيته فى العام كانت أملاكا محبوسة ، يجب أن تنتقل بعد موته بحكم القانون إلى أقرب الذكور إليه من أسرته وهو قريب له بعيد » .

وصاحت به زوجته قائلة : « آه يا عزيزى ، إننى لا أطيق أن أستمع إلى هذا يذكر أمى ، وأرجوك ألا تتحدث عن هذا الرجل البغيض » . لقد كان هذا من الموضوعات التى تخرجها عن دائرة العقل .

«ولكن الطريقة التى يعبر بها عن قصده قد تهدي من حدثك بعض الشيء إذا استمعت إلى رسالته»

« بيت القس بهنز فورد

قرب وسترهام

كنت

فى ١٥ أكتوبر

« سيدى العزيز

إن الخلاف الذى كان قائما بينك وبين المرحوم والذى طيب الله

تراه كان على الدوام يقلق بالى أشد القلق ؛ وكثيرا ما أردت بعد موته أن أسوى هذا النزاع .

« والآن قد قطعت فى هذا الموضوع برأى . ذلك أننى بعد أن أصبحت من رجال الدين قد أسعدنى الحظ بأن لحظتتى بعنايتها السيدة المصونة كترين ده بروج أرملة سير لويس ده بروج ، فتفضلت بأن حببتنى بمنصب قسيس هذه الناحية ، وهو منصب عظيم الشأن ، وسأبذل جهدى فى أن سلك فيه سلوكا يرم عن شكرى وإجلالى لهذه السيدة الجليلة .

« هذا إلى ما أشعر به — وأناقس — من أن الواجب يقضىنى أن أكون رسول السلم بين جميع الأسر القريبة منى ، ولهذا السبب أرى أن ما أعرضه عليك من أسباب الصداقة سيكون جديراً بأعظم الثناء ، وأنتك ستفضل بأن تغض النظر عن مسألة وراثتى لأملاكك . « وإنى ليضايقنى أن أكون أنا السبب فى إيذاء بناتك الحسان ، وأرجو أن تسمح لى بأن أقدم اعتذارى عن هذا ، وأن أوكد لك حسن استعدادى لأن أصلح الخطأ الذى أصابهن .

« فإن لم يكن لديك ما يمنعك أن تستقبلنى فى بيتك فإنى أعرض عليك أن أزورك أنت وأسرتك فى الساعة الرابعة من يوم الاثنين فى الأسبوع المقبل ، وأحب أن أحظى بكرم ضيافتك إلى يوم السبت من الأسبوع الذى يليه .

« وأرجو أن تبلغ ياسيدى العزيز تحياتى إلى زوجتك وبناتك

مقرونة بإجلالى لهن وما زلت .

صديقك الذى يرجو لك الخير .

وليم كلنز »

وقال مستر بنت وهو يطوى الرسالة : « وإذن فنحن نتوقع زيارة من هذا السيد رسول السلام فى الساعة الرابعة ، ويظهر أنه شاب مخلص مؤدب » .

« وإن فيما يقوله عن إصلاح الخطأ الذى أصاب البنات لينطوى على بعض التعقل » .

وقالت جين : « وإن كان يصعب على الإنسان أن يحزر كيف يريد أن يفعل هذا » .

وكان أكثر ما أثار دهشة إزبث هو إجلاله العظيم للسيدة كترین . أما أمها فإن رسالة مستر كلنز قد ذهبت بكثير من حقدتها عليه ، وأخذت تهيأ لاستقباله بهدوء دهش منه زوجها وبناتها .

الفصل العاشر

وجاء مستر كانز في موعده ، واستقبلته الأسرة كلها بأدب جم .
نعم إن مستر بنت لم يتكلم إلا قليلا ، ولكن السيدات كن على استعداد للتحديث ، ولاح أن مستر كانز نفسه لم يكن في حاجة إلى ما يشجعه على الحديث ، وأنه لم يكن يميل إلى الصمت . وكان رجلا طويل القامة ، ممتلي الجسم ، في الخامسة والعشرين من عمره ، يدل مظهره على الجدة ، وتُسعر أخلاقه بالتحفظ . ولم يطل جلوسه حتى أخذ يهني مسز بنت علي ما رزقت من فتيات حسان ، وأظهر إعجابه ببجهاهن ، وزاد على ذلك أنه لا يشك في أنها ستراهن في وقت قريب وقد تزوجن زواجا طيبا . ولم يكن هذا الحديث مما يعجب بعض سامعيه ، ولكن مسز بنت أجابت من فورها :

« لست أشك يا سيدى في أنك رجل رقيق القلب ، وإنى لأتمنى من صميم قلبي أن يتحقق ذلك ، وإلا فإنهن سيكنن بأئسات حقا . إن الأمور تنقرر بطريقة عجيبة » .

« إنى لا أجهل يا سيدتى ما تلاقيه بناتك الحسان من متاعب ، ولكن فى وسعى أن أوكد للفتيات أننى جئت وأنا على استعداد لأن أعجب بهن ؛ ولن أقول أكثر من هذا الآن ، ولكنى قد أستطيع أن أزيد عليه بعد أن نرداد تعارفا - » .

وقطعت عليه حديثه دعوته إلى العشاء ، وابتسمت الفتيات كل واحدة منهن للأخرى ؛ ولم يكن وحدهن موضع إعجاب مستر كلنز ، فقد كان يلقي نظرات فاحصة على الردهة وحجرة الطعام وما فيها من أثاث ، ويثنى عليها أطيب الثناء . وكان من شأن ثنائه هذا أن يكون له أحسن الأثر في قلب مسز بنت لولا ذلك الفرض المؤلم الذى افترضته ، وهو أنه ينظر إلى هذا كله على أنه سيصبح في المستقبل ملكا له . وأعجب هذا الإعجاب نفسه بالعشاء حين جىء به ، ورجا أن يعرف أية واحدة من بنات عمه الحسان كان لها فضل هذا الطهي الذى لا يعادله في حسنه طهى سواه . ولكن مسز بنت أصلحت خطأه في هذه النقطة بأن أكدت له أن في مقدور الأسرة أن يكون لها طاه مجيد ، وأن بناتها لم تكن لهن علاقة ما بالمطبخ . واعتذر لها عما أغضبها من قوله ، فأعلنت بنعمة رقيقة أنها لم تر فيما قاله إساءة قط ، ولكنه مع ذلك ظل يعتذر لها حوالى نصف ساعة .

ورأى مستر بنت بعد العشاء أن الوقت قد حان للتحدث بعض الحديث إلى ضيفه ، ولهذا بدأ الحديث بموضوع توقع أن سيكون الضيف هو المجلى فيه ، وذلك بأن قال إنه كان موقفا كل التوفيق في أن تكون السيدة كترين وليمة نعمته . ولم يكن في مقدور مستر بنت أن يختار موضوعا للحديث خيراً من هذا الموضوع ، فقد أخذ مستر كلنز يثنى عليها بصوت عال ، وشرع يعبر عن شعوره وهو يبالغ في تواضعه وخضوعه إلى أقصى حد . ولما حان وقت

الشاي كان مضيفه قد سمع منه كل ما يريد سماعه ، وسره أن يأخذ الشاب إلى حجرة الاستقبال ، ويطلب إليه أن يقرأ شيئاً إلى السيدات . وأجاب مستر كلنز هذا الطلب من فوره ، ووجيء له بكتاب ، ولكنه أجفل حين رآه ، واعتذر عن عدم القراءة ، وأعلن أنه لم يقرأ الروايات في حياته . ونظرت إليه كتي مندهشة ، وصرخت ليديا صرخة عالية ، ثم عُرضت عليه كتب أخرى فاختار منها مجموعة مواعظ . وولت ليديا مدبرة حين فتحت الكتاب ، وقبل أن يتم قراءة ثلاث صفحات بصوت ممل قطعت عليه ليديا قراءته بأن أخذت تتحدث إلى أمها . وأمرتها أختها الكبيرتان أن تمسك لسانها عن الكلام ، ولكن مستر كلنز استاء من ذلك كثيراً ، ووضع الكتاب إلى جانبه .

الفصل الحادى عشر

ولم يكن مستر كلنز رجلاً حسن الإدراك ، ولم تتح له الفرص
التي تمكنه من أن يصلح من شأنه كثيراً في هذه الناحية بالتعلم
أو الاختلاط بالناس . وكانت أخلاقه خليطاً من الكبرياء والذلة .
وقد أتاح له حسن حظّه أن توصى به السيدة كترين ده بورج
حيثما خلا منصب راعى هنزفورد . وجاء له هذا المنصب بمسكن حسن
ودخل طيب فقرر أن يتزوج . ولما جاء يسمى للصلح مع أسرة
لنجهورن كان يفكر وقتئذ في زوجة ، وكان يرمى إلى اختيار زوجة
له من بنات الأسرة . وكانت هذه هي الخطة التي يريد بها أن يصلح
ماسيصبين من أذى حين يرث أرض أبيهن ، وكان يظن أنها خطة
تنطوى على كرم عظيم .

ولم يغير خطته هذه بعد أن شاهد هن . فلم يلبث وجه كبرى
بنات بنت الجليل أن استلفت نظره ، وظلت هي التي استقرت عليها
اختياره طوال الليلة الأولى . ثم تبدل هذا في الليلة الثانية ، فقد تلقى من
مسر بنت في حديث خاص معه دام ربع ساعة تحذيراً بشأن حين هذه
التي وقع اختياره عليها : « فأما بناتها الصغيرات فإنها لا تستطيع أن
تأخذ على عهدتها أن تقول — لا تستطيع أن تجيب جواباً قاطعاً —
أما ابنتها الكبرى فإنها لا بد أن تذكر مجرد ذكر — أنها

تشعر أن من واجبها أن تشير إلى أنها يحتمل أن تُخطب بمد
وقت قصير» .

ولم يكن على مستر كلنز إلا أن يستبدل إزبث بجين . وقد حدث
هذا على الفور ، فقد كانت إزبث هي التالية لجين في المولد والجمال ،
وكانت هي التي تخلفها بطبيعة الحال .

وعدت مسز بنت هذا العرض عرضاً ذا قيمة ، وكانت كبيرة
الرجاء في أن تتزوج اثنتان من بناتها في وقت قريب ، وأصبح
الرجل الذي لم تكن تطيق بالأمس أن تتحدث عنه من أحب
الناس إليها .

X

الفصل الثاني عشر

وأرادت ليديا أن تذهب إلى مريتن في صباح ذلك اليوم سيرا على قدميها ، ورضيت أخواتها جميعاً أن يذهبن معها عدا ميري فقد فضلت أن تقضى وقتها في القراءة . وأتفق أن يصحبهن مستر كانز بعد أن طلب إليه ذلك مستر بنت ، فقد كان بنت شديد الرغبة في أن يتخلص منه ، وأن ينفرد بنفسه في مكتبته لأن قريبه لم يكن ينقطع عن الكلام .

وظلت البنات يستمعن في أدب إلى ملاحظاته ، حتى دخلن مريتن . فلما دخلنها لم يكن في وسعه هو أن يستلفت أنظار الصغيرات منهن ، فقد أخذت أعينهن تنتقل في الحال من أول الشارع إلى آخره تبحث عن الضباط .

ولكن السيدات جميعهن قد استلفت أنظارهن على الفور شاب لم يرينه من قبل ، ذو مظهر يرم على كرم المحمد ، يسير في صحبة ضابط على الجانب المقابل لهن من الطريق . وأثرت فيهن جميعاً طلعة الرجل البهية ، وكانت كتي وليديا تعرفان الضابط ، ولذلك قررتا أن تعرفا من عساه أن يكون صديقه إذا استطاعتا إلى ذلك سبيلاً . فتقدمتا سائر الجماعة إلى الجانب الآخر من الطريق ، وهما تتظاهران بأنهما في حاجة إلى شيء من حانوت مقابل لهما ؛ وكان من حسن حظهما أنهما

وصلتا إلى الطوار في اللحظة التي وصل فيها السيدان ذلك المكان نفسه . وخطبهما مستردنى الضابط على الفور ، واستأذنهما في أن يقدم إليهما صديقه مستر وكهام ، وقال إنه انضم إلى الجيش من وقت قريب جداً .

وبدا الشاب جذاباً ساحراً إلى أقصى حد ؛ فقد كان جميل الوجه ، بهي الطلعة ، باشاً ، طلق اللسان . وكانت الجماعة كلها تتحدث في سرور وانشراح حين استلقت أنظارهم وقع حوافر الحيات ، ورؤى دارسى وبنجلى في الشارع على ظهر جوادين . ولما أبصر الرجلان السيدات بين الجماعة أقبلتا عليهن من فورهما ، وبدأت تحياتهما بالأدب المألوف . وكان بنجلى أكثرهن حديثاً ، كما كانت كبرى بنات بنت موضع الأنظار ، وقال إنه كان ذاهباً في طريقه إلى المنجبورن ليستفسر عن صحتها . وعقب مستر دارسى على هذا بالحناءة ، وكان يريد ألا يسدد نظراته إلى إلزبت حين وقعت عيناها فجأة على الرجل الغريب . واتفق أن شاهدت إلزبت وجهيهما وكلاهما ينظر إلى الآخر ، وأدهشها ما كان لهذا اللقاء من أثر فيهما ، فقد تغيرت وجهاهما فابيض أحدهما واحمر الآخر . ومس مستر وكهام بعد لحظات قليلة قبعته بيده — وكانت هذه تحية لم يكده معنى مستر دارسى بالرد عليها . فإذا عسى أن يكون معنى هذا ؟ لم يكن من المستطاع أن تتصور هذا المعنى ، ولم يكن من المستطاع كذلك ألا تتوق إلى معرفته .

ولم تمض إلا لحظة حتى استأذن مستر بنجلى السيدات ، وسار
في طريقه مع صديقه من غير أن يظهر أنه قد لاحظ ما حدث .
وقصت إلزبت على چين وهما عائدتان إلى المنزل ما دار بين
السيدتين وما شهدته بعينها ، ولكن چين لم تكن أقدر من أختها
على إيضاح هذا المسلك .

الفصل الثالث عشر

وكانت الفتيات قد قبلن وهن في مريتين دعوة من خالتهن للعشاء ولعب الوراق ، وأقلت العربيه مستر كلنز وقربانه الخمس إلى البلدة في ساعة مناسبة . ولما دخلت الفتيات حجرة الاستقبال سرهن أن يسمعن أن مستر وكهام قد قبل دعوة خالتهن إليه ، وأنه كان وقتئذ في المنزل .

ولما عرف هذا واتخذ الحاضرون مجالسهم ، وجد مستر كلنز فسحة من الوقت للحديث والنظر إلى ما حوله . وبدأت للفتيات فترة الانتظار جد طويلة . على أنها انتهت آخر الأمر ، وانضم إليهن الرجال ، ولما دخل مستر وكهام الحجرة شعرت إلزبت أن إعجابها به وهى تفكر فيه لم يكن لغير سبب معقول .

وكان مستر وكهام هو الرجل السعيد الذى اتجهت إليه أنظار كل سيدة في الجمع تقريبا ، وكانت إلزبت هى الفتاة السعيدة التى جلس آخر الأمر إلى جانبها ، وبدأ أن مستر كلنز قد انحطت منزلته فلم يصبح ذا شأن بعد أن وُجد له فى أعين السيدات منافسون فى منزلة مستر وكهام وضباط الجيش . ولكنه كان يجحد بين الفينة والفينة مستمتعة رقيقة القلب ، هى مسز فلب التى كانت تقدم له ما يحتاج من القهوة .

وكانت إلزبت راغبة كل الرغبة في أن تستمع إلى حديث مستر وكهام ، وإن لم تكن تأمل أن تستمع إلى ما كانت تتوق إلى سماعه أكثر من غيره وهو تاريخ تعرفه بمستر دارسى . غير أن تطلعها إلى معرفة هذا التاريخ قد تحقق بطريقة لم تكن قط منتظرة . فقد بدأ مستر وكهام نفسه هذا الموضوع بأن سأل في تردد كم من الزمن قضى مستر دارسى في هذه الناحية .

فأجابت إلزبت : « نحو شهر » ، ولم تشأ أن ينقطع الحديث عند هذا الحد فواصلته قائلة : « وقد علمت أنه رجل ذو أملاك واسعة في دربنى شير » .

فأجابها مستر وكهام قائلاً : « نعم » ، ومزعرته بميرلى مزرعة عظيمة لا تقل غلتها عن عشرة آلاف جنيه في العام . ولم يكن في مقدورك أن تعثرى على شخص يقدم لك من المعلومات عنها ما أقدمه أنا — لأننى أتصل بأسرته من يوم مولدى » .

وكان لا بد أن تظهر الدهشة على وجه إلزبت .
« ومن حقا يا آنسة بنت أن تدهشى لهذا القول أشد دهشة ، بعد أن رأيت لقاءنا الفاتر بالأمس . فهل تعرفين مستر دارسى حق المعرفة ؟ » .

فصاحت إلزبت بحماسة : « إنى أعرفه بقدر ما أربغ في هذه المعرفة ، فقد قضيت معه عدة أيام في بيت واحد وأظنه إنساناً غير ظريف » .

وسكت مستر وكهام قليلا ثم قال : « ليس في وسعي أن أدعى أنني
أسف لسماع هذا ، فقد كان مسلكه معي مسلكا مخجلا . غير أنني
يسمعي أن أسامحه في كل شيء إلا أن يخيب آمال والده ، وأن يسيء
إلى ذكراه » .

ووجدت إلزبت أن الموضوع يزداد ظرافة .

وواصل مستر وكهام حديثه قائلا : « لقد ربيت لأكون من
رجال الدين ، وأوصي لي مستر دارسي بأحسن منصب ديني كان في
مقدوره أن يوصي به إذا ما خلا هذا المنصب من شاغله . فقد كان
هو أبي حين تعميدي ، وكان يحبني كثيرا . وقد ظن أنه ضمن لي
مستقبلي ، ولكن المنصب الديني كان من نصيب شخص غري » .
وقالت إلزبت : « رباه ! ولكن هذا كان خرقا للقانون
بالتأكيد ؟ » .

« لم تكن ألفاظ الوصية واضحة كل الوضوح . فقد شاء
مستر دارسي أن يفسر ألفاظ أبيه على أنها توصية بشروط ، وأن
يقول إنني لاحق لي في المنصب الديني لسوء سلوكي . ولكن الحقيقة
إنه يبغضني » .

« هذا شيء فظيع ، وهو يستحق من أجله أن يشهر به علنا » .
« ليس في وسعي أن أشهر به هو قبل أن أنسى أباه » .
وأنت عليه إلزبت لهذه العواطف النبيلة .

« ولقد ولدنا في مكان واحد ونشأنا معا . وكان والدي وكيل

المرحوم المستر دارسى فى مزارعه ، وكان يقضى وقته كله فى العناية بأملأك موكله .

« يدهشنى ألا يكون كبرياء مستر دارسى قد حمّله على أن ينصفك — لقد كنت أظن أنه أوقى من الكبرياء ما يحول بينه وبين نذالته » .

وأجاب مستر وكهام قائلا : « وهذا أمر عجيب لأن كبرياءه قد حمّله فى كثير من الأحيان على أن يكون رجلا سمحا يجود بماله ، ويكرم ضيفه ، ويمين زراعته ، ويفرج كرب البائسين ؛ وهو إلى ذلك أخ نخور بإخوته يشفق كل الشفقة على أخته ويعنى بالمحافظة عليها أشد العناية » .

« ترى أى صنف من البنات تكون الأنسة دارسى ؟ » .
وهز وكهام رأسه ثم قال ! « كنت أود أن أقول إنها من الصنف الذى يمكن أن يحب ، ولكنها شبيهة بأخيها فوق ما يجب .
فهى ذات كبرياء عظيم إلى أقصى حد » .

« ويدهشنى ما بين مستر دارسى ومستر بنجلى من صداقة .
فكيف يحب مستر بنجلى ، وهو الذى يبدو كأنه الفكاهة مجسّمه ،
مثل هذا الرجل ! إنه لا يعرف حقيقة مستر دارسى » .

« لعله لا يعرف حقيقة ، ولكن فى وسع مستر دارسى أن يسر الناس متى أراد ، فهو يستطيع أن يكون رفيقا طيبا ، إذا رأى أن فى ذلك فائدة . وهو إذا وجد بين أقرانه فى هذا العالم يختلف

كل الاختلاف عنه إذا كان بين من هم أقل منه ثروة .
واستلفت نظر مستر وكهام بعد ذلك بقليل ورود إسم السيدة
كترين ده بورج على لسان مستر كلنز ، فسأل إلزبت بصوت منخفض
هل تعرف أسرتهما تلك الأسرة .

« إنك تعرفين بطبيعة الحال أن السيدة ، كترين ده بورج
والسيدة آن دارسي أختان ، وأنها لذلك خالة مستر دارسي هذا .
وسترث ابنتها الآنسة ده بورج ثروة طائلة ، ويظن إنها هي وابن
خالتها سيمتزوجان ، فتجتمع بزواجهما المزرعتان » .

وابتسمت إلزبت لهذا النبا حين فكرت في الآنسة بنجلى ،
فيا لضيعة آمالها إذا كان قد وعد من قبل بأن يتزوج غيرها !

الفصل الرابع عشر

وقصت إلزبت على جين في اليوم الثاني ما دار بينها وبين مستر وكهام من حديث ، واستمعت إليها جين بدهشة واهتمام ؛ ولم تكن تدري كيف تصدق أن مستر دارسى يمكن أن يكون غير خليق بصداقه مستر بنجلى ، بيد أنه لم يكن من طبعها أن ترتاب في صدق شاب له ما لو كهام من مظهر جميل جذاب .

٣ وكان مما قالته : « إن فى وسعى أن أقول إن الرجلين قد خدعا بطريقة ما لا تستطيع أن تتصورها » .

واستدعيت الفتاتان من الحديقة حيث كان هذا الحديث يدور بينهما حين قدم بعض من كانتا تتحدثان عنهم . فقد أقبل مستر بنجلى وأختاه ليدعوا بأنفسهم أهل الدار إلى حفلة الرقص التى طال انتظارها فى نذر فيلد ، التى حدد موعدها فى يوم الثلاثاء المقبل . وبدأت على الفتاتين مظاهر الانشراح حين شاهدتا صديقهما العزيز مرة أخرى ، وقالتا إنه قد مضى على لقاءهما به دهر طويل . ولم يعر الزائرون سائر أفراد الأسرة إلا شيئاً قليلاً جداً من الالتفات ، وكانوا يتجنبون لقاء مسز بت قدر المستطاع ، ولم يتحدثوا كثيراً مع إلزبت ، ولم يتحدثوا بشيء ما إلى غيرها من الفتيات .

ووقعت فكرة الحفلة الراقصة فى نذر فيلد برداً وسلاماً على

قلوب كل أنثى في الأسرة ، ورأت مسز بنت أن تعد هذه الحفلة تكريماً لابنتها الكبرى ، ورأت في مجيء مستر بنجلى ليقدم الدعوة بنفسه بدل إرسال بطاقة لها بالطريقة الرسمية المألوفة اعترافاً بعظيم شأنها . وتصورت چين ماستكون عليه السهرة من متعة في حضرة صديقتها والتفات أخيهما إليها ، وفكرت إلزبت وهي منشرة الصدر في أنها سترقص كثيراً مع مستر وكهام . أما ما كانت تتوقعه كترين وليديا من سعادة فلم يكن يتوقف على حادثة بمفردها أو شخص بمفرده ، لأن كل ما كانتا ترغبان فيه هو كثرة المشتركين في الحفلة ، وحتى يرى نفسها وهي المجدبة الرزينة المحبة للدرس رضية أن تشترك فيها .

وابتهجت إلزبت أعظم ابتهاج حتى لم تكن تستنكف أن تتحدث في غير ضرورة إلى مستر كلنز ، فلم تر ما يمنعها أن تسأله هل في نيته أن يقبل دعوة مستر بنجلى ؛ وقد أدهشها منه قوله رداً على سؤالها إنه ذاهب إليه ، ثم قوله بعد ذلك : « وإني أرجو أن أتشرف بمراقبة قريباتي الحسان جميعاً في أثناء السهرة ، وإني أنتهز هذه الفرصة لأطلب إليك أن تراقصيني يا آنسة إلزبت وبخاصة في الدورتين الأوليين ، وهو تفضيل لك أعتقد أن چين ابنة عمى ستفهمه على الوجه الصحيح ، وتذكر أن ليس الباعث عليه استخفافاً بها » .

وشعرت إلزبت بأنها قد خدعت أتم خداع . لقد كانت تريد من صميم قلبها أن تراقص مستر وكهام في هاتين الرقصتين بعينهما .

وهاي ذى تستبدل به غيره، وتستبدل به مستر كلنز ! إن خفتها لم تأت في غير وقتها يوماً ما كل جاءت في هذه المرة ، ومع هذا فإن الأمر لم يعد منه بد ، ولذلك قبلت ما عرضه عليها مستر كلنز ، وتظاهرت بأكثر ما تستطيعه من الرضا عن هذه الدعوة . ولم يكن ما توحى به الدعوة من فكرة أخرى غير الرقص ليزيد من سرورها بها . فقد خطر لها الآن لأول مرة أنه قد اختارها هي من بين أخواتها ، لتكون سيدة بيت قس الإقليم ، وسرعان ما زادت هذه الفكرة تأكيدها لديها حين أبصرت ما يوجهه إليها من مجاملات مطردة الزيادة . ومع أن هذه المجاملات كانت تثير فيها من الدهشة أكثر مما تثيره من السرور فإنه لم يمض إلا قليل من الوقت حتى أخبرتها أمها أنها يسرها هي كل السرور احتمال زواجها بمستر كلنز . على أن إلزبت لم تشأ أن تفهم ما ترى إليه أمها لأنها كانت موقنة بأن كل جواب يجيب به سيثير بينهما نزاعاً شديداً . وقد لا يعرض مستر كلنز أمر زواجه بها مطلقاً ، وليس ثمة فائدة ترجى من النزاع بسببه حتى يعرض الأمر .

ولو أنه لم تكن هناك حفلة رقص تتطلب الاستعداد لها والتحدث عنها ، لكانت ابنتا بنت الصغيرتان في أسوأ حال وقتئذ . ذلك أنه قد تخللت الفترة بين توجيه الدعوة وبين إقامة الحفلة أيام مطيرة متتالية حالت بينهما وبين الذهاب إلى مريتن ، فلم تذهبا إليها قط ، ولم تستطيعا أن تريا لا خاتهما ولا الضباط ، ولا أن تستمعا الأخبار ، بل ما كانتا تطلبانه من زينات لأحذيتهما تضطرهما إليها الحفلة كان

عليهما أن ترسلا رسولا يأتي به إليهما . وحتى إلزبث نفسها لم يكن
يسهل عليها أن تصطنع الصبر على هذا الجو الذي أجل إلى حين زيادة
معرفة بمستر وكهام . ولم يكن شيء أقل شأننا من حفلة راقصة في
يوم الثلاثاء ليقوى على جعل أيام الجمعة والسبت والأحد والاثنين
التي قبل ذلك اليوم مما تستطيع كتي وليديا أن تصبرا عليها .

الفصل الخامس عشر

ولم يذكر قط بخلد إلزبت أى شك فى قدوم مستر وكهام حتى دخلت حجرة الاستقبال فى نذر فيلد وبحث عنه من غير طائل بين جماعة العسكريين (ذوى الستر الحمراء) . وكانت قد بذلت فى ملابسها عناية غير عادية ، وأعدت نفسها وهى أكثر ما تكون بهجة لتأسر قلبه . وسرعان ما ساور عقلها ذلك الظن الرهيب وهو أنه قد أغفل عن قصد من بين الضباط الذين وجهت إليهم دعوة مستر بنجلى ، وذلك إكراما لخاطر مستردارسى . ثم أخبرهم صديقه مستر ديني أن وكهام قد اضطر إلى الذهاب إلى لندن لبعض أعماله ، وإن لم يكن قوله هذا مطابقا للواقع . وأضاف إلى هذا قوله :

« لست أظن أنه كان يذهب فى هذه الساعة لو لم يكن راغبا فى أن يتجنب لقاء أحد السادة فى هذه الدار » .

وزاد هذا النبأ استياء إلزبت من مستر دارسى ، ومع أنها قد حاولت أن تكون مرحة ، فإن الرقصتين الأوليين أعادتا إليها كآبتها . أما كلنز فقد كان رزيناً وسميحاً ، يعتذر بدل أن يلتفت ، كثير الخطأ فى حركاته دون أن يعرف أنه يخطئ ؛ ولهذا كله سبب لإلزبت من الخجل والبؤس كل ما يستطيع أن يسببه المراقص غير المرغوب فيه لمن يراقصها .

وراقصت بعده ضابطا ، ثم رأت نفسها على حين غفلة تتلقى دعوة من مستر دارسى ، وقد أخذتها هذه الدعوة على غرة فقبلتها دون أن تتنبه لما هى فاعلة .

واتخذت إلزبت مكانها بين الجماعة وهى مندهشة من المقام الذى أحرزته بأن يُسمح لها أن تقف أمام مستر دارسى ، وتبينت فى أعين جاراتها ما لا يقل عن دهشتها هى نفسها . ولم يتسكما إلا قليلا جدا حتى انتهى الرقص إذ سألتها ألم تذهب هى وأخواتها كثيرا إلى صريتن سيرا على الأقدام ؟ فأجابته بأنهن قد فعلن ، ولم تستطع أن تكبت رغبة فى نفسها فأضافت إلى ذلك قولها : « وحين تقابلنا هناك فى ذلك اليوم ، كنا نتعرف بشخص جديد » .

وأحدثت هذه العبارة أثرها فيه على الفور ، فعلت وجهه مسحة من الكبرياء أعظم مما كان باديا عليه ، ثم نطق أخيرا فقال :
« لقد من الله على مستر وكهام بالصفات الطيبة التى تضمن له كسب الأصدقاء . أما أنه قد أوتى مثل هذه القدرة على الاحتفاظ بصداقة من يكسبه منهم ، فذلك أمر أقل من هذا يقينا » .
وأجابته إلزبت بقولها : « لقد كان من سوء حظها أن خسر صداقتك أنت » .

وسكت دارسى فما أحرار جوابا ، وبدت منه رغبة فى أن يغير موضوع الحديث ، وفى هذه اللحظة عينا ظهر سير ولیم لوكاس ووقف ليحييه وقال له :

« إن الإنسان ياسيدي العزيز لا يشهد كثيراً مثل هذا الرقص الممتاز ، وإنى لأرجو أن تتكرر كثيراً هذه المتعة الطيبة ، وخاصة حينما يحدث حادث نرغب فيه (وألقى نظرة على جين ومستر بنجلى) وما أكثر ما سيصل وقتئذ من التهانى ! .

وبدا أن إشارة سير وليم إلى صديقه كان لها أعظم الأثر فيه ، واتجهت عيناه إلى بنجلى وجين ، وكانا يرقصان معا والفتا عليهما نظرة جديدة .

ولما انفض الرقص اتجهت الأنسة بنجلى نحو إلزبت ونظرت إليها نظرة احتقار ثم خاطبتها قائلة :

« لقد سمعت يا آنسة إلزبا أنك مشغوفة بجورج وكهام ، فاسمحي لى أن أنصحك نصيحة الصديقة ألا تتقي بما يقول . أما أن مستر دارسى قد أساء معاملته فهذا محض افتراء ؛ فقد كان مستر دارسى على الدوام يعطف عليه أشد العطف ، وإن كان وكهام قد عامله معاملة مخجلة . ولست أعرف تفاصيل المسألة ، ولكنى أعرف أن لا لوم مطلقاً على مستر دارسى . إنى لأرى لك يا آنسة إلزبا ، ولكن الواقع أن الإنسان إذا فكر فى أسرته لا يستطيع أن يجد خيراً منه كثيراً » .

وردت عليها إلزبت وهى مغضبة : « إن ذنبه وأسرته حسب قصصك يبدو أن مماثلين كثيراً » .

فأجابتها مس بنجلى وهى مدبرة : « أرجو المذرة عن هذا

الفضول ، إني كنت أقصد به الخير » .

ثم بحثت إلزبت عن أختها الكبرى ، وقابلتها هذه بابتسامة
رضاء حلوة ، قرأت فيها أختها إحساساتها ، ونسيت إلى حين كل
ما كان في نفسها ، راجية أن تكون حين سائرة في طريق السعادة .
وأخذت حين تتحدث عن مستر وكهام تقول : « إن مستر
بنجلى لا يعرف تاريخه كله ، ولكنه لا يخالجه شك في شرف
صديقه وحسن سلوكه ، ويؤسفنى أن أقول إن مستر وكهام حسب
وصفه ليس شابا جديرا بالاحترام » .

« إن مستر بنجلى نفسه لا يعرف مستر وكهام » .

« نعم ؛ وهو لم يره إلا في صباح ذلك اليوم الذى التقيا
فيه في مريتين » .

« وإذن فإن ما يقوله عنه قد تلقاه عن مستر دارسى . إني راضية
عن هذا كل الرضا . لقد دافع مستر بنجلى عن صديقه بإخلاص
ولكنى سأظل متمسكة برأى » .

ثم بدلت موضوع الحديث موضوعا آخر يلذ لهما جميعا ، وأخذت
تستمع وهى مبتهجة إلى تلك الآمال السعيدة ، وإن تكن متواضعة ،
التي تعلقها حين على شعور مستر بنجلى نحوها . ثم انضم إليهما
مستر بنجلى نفسه فغادرتهما إلزبت وانضمت إلى الأنسة لوкас .

وبعد قليل من ذلك الوقت جاء مستر لوкас وهو منفعل أشد
انفعال ، فقد عرف أن مستر دارسى ابن أخت ولية نعمته السيدة كترين .

« إنك لن تعرفي نفسك بمستر دارسي ؟ » .

« بل سأعرف به » .

ولم تأل إلزبت جهدا في أن تقنعه بالعدول عن رأيها ، وأكدت له أن مستر دارسي سيعد هذا منه تطاولا على خالته لا تحية لها .

فأجابها بقوله : « معذرة إذا أهملت الانتفاع بنصيحتك ، ولكنني أرى في هذا الظرف أن تربيتي ودراستي تجعلاني أقدر من فتاة مثلك على معرفة الصواب » . ثم انحنى إليها انحناء كبيرة ، وتركها ليتجه إلى مستر دارسي ، فلما جاءه بدت عليه الدهشة ورد عليه بأدب فاطر .

وشعرت إلزبت بالخلجل من قربها وحولت عنايتها إلى موضوع آخر أحب إليها وهو مستقبل چين ، وكان واضحا أن أفكار أمها نتيجة في هذا الاتجاه نفسه . وما كان أشد غضب إلزبت حين جلس الجماعة إلى مائدة العشاء ، ووجدت أن حديث مسز بنت إلى السيدة لو كاس كان كله يدور بصوت مرتفع عن رجائها في أن تزوج چين عما قريب بمستر بنجلى ، ولم تقلح إلزبت فيما حاولته من السيطرة على حديث أمها ، وذلك لأنها رأت أن هذا الحديث كان يصل إلى مسامع مستر دارسي الجالس أمامهما . ولم يكن لسكل ما بذلته من جهد في هذا السبيل أثر ما ، واحمر وجه إلزبت من الخلجل .

ولما فرغوا من العشاء أخذوا يتحدثون عن الغناء ، وآلم إلزبت فوق آلامها السابقة أن رأت ميرى تستعد لأن تطرب الجماعة .

وكانت ميري أقل أخواتها الخمس جمالا ، وكانت قد حاولت أن تعوض هذا النقص بأن تزيد من ثقافتها ، وكانت تحرص دائما على إظهار هذه الثقافة ، ولكن قواها لم تكن قط مما يؤهلها للاضطلاع بهذا العمل ، فقد كانت صوتها ضعيفا ، وكانت أخلاقها غير طبيعية . وأنصت إليها إلزبث في قلق ، وغنت ميري أغنيتين ، وكان في وسع إلزبث أن ترى أختي مستر بنجلي تتبادلان بسمات الازدراء . ونظرت إلى أبيها ترجوه أن يتدخل في الأمر لئلا تسترسل ميري في الغناء طول الليل ، ففهم الإشارة ومنعها من الغناء بلطف .

ولم تجد إلزبث في بقية السهرة شيئا من التسلية ، فقد ظل مستر كلنز إلى جانبها ، ولم يشأ أن يتركها وحدها ، ولم يعرفها مستر دارسي بمعد ذلك أية التفاتة ، حتى في الوقت الذي كان فيه واقفا بالقرب منها . على أن مسز بنت قد عادت من نذر فيلد وهي راضية كل الرضا ، فقد اقتنعت كل الاقتناع بأن چين سيتم زواجها في خلال ثلاثة أشهر أو أربعة ، ولم تكن تقل عن هذا اقتناعا بأن بنتا أخرى من بناتها ستزوج مستر كلنز . ولما كانت تحب إلزبث أقل مما تحب مسائر بناتها فقد كانت ترى أنها غير جديرة بزواج خير من مستر كلنز .

الفصل السادس عشر

وكان اليوم الثانى بداية فصل جديد فى لنجبورن ، إذ تقدم فيه
مستر كلنز رسميا بطلب الزواج . ذلك أنه بعد أن اعترف أن يتقدم به
من فوره دون ضياع الوقت ، ولم تكن تعوزه الثقة بإجابة طلبه ،
تقدم به بطريقة منظمة على أحسن وجه ، وصحبه بكل المراسم التى
ظن أنها من مميزات ذلك العمل . فلما وجد الآنسة بنت ، وإلزبت ،
وإحدى الفتيات الصغيرات مجتمعات بعد طعام الإفطار خاطب
أمن قائلاً :

« هل تسمحين لى يا سيدتى أن أتحدث إلى ابنتك الحسنة
إلزبت على انفراد ؟ » .

وقبل أن تجد إلزبت فسحة من الوقت إلا ما يكفى لأن يحمر
فيها وجهها من الدهشة أجابت مسر بنت على الفور :
« نعم يا عزيزى ، نعم بالتأكيد . وأنا واثقة من أن لرى لن
تعارض . تعالى يا كتى ، إنى فى حاجة إليك فى الطابق العلوى » . وبعد
أن جمعت شغلها وبدأت تقادر المكان مسرعة نادتها إلزبت قائلة :
« أرجو ألا تبرحى المكان ، إن مستر كلنز لابد أن يسامحنى فى
هذا ، إنه لا يستطيع أن يقول لى شيئاً لا يرى أحد أن لا حاجة له
بسماعه ، وهأنذا أغادر المكان » .

« لا ، لا ، هذا كلام لا معنى له يا زى ؛ إني أحب أن تبقى حيث أنت » . ولما بدا أن إلزبث توشك أن تفر واصلت الأم حديثها قائلة : « إني أصر يا زى على أن تبقى وتستمعى إلى ما يقوله مستر كلنر . ولم تشأ إلزبث أن تعصى هذا الأمر ، وبعد أن فكرت فيه لحظة أدركت أن من الخير لها أن تنتهى من هذا الموضوع ، ولهذا عادت إلى الجلوس . وابتعدت عنهما مسرّبت وكنتى ، وما كادت تغادران المكان حتى بدأ مستر كلنر حديثه بقوله :

« صدقيني يا عزيزتى الآنسة إلزبث أن تواضعك لا يزيدك إلا كمالا ، ولو لم يكن لك هذا التمتع القليل لكنت أقل ظرفا فى عيني مما أنت ، ولكنى أستمحك فى أن تؤكد لك أن والدتك المحترمة قد أذنت لى أن أحدثك بما سأحدثك به . إني لم أكّد أدخل هذه الدار حتى اخترتك أنت لتكونى رفيقتى فى حياتى المستقبلية ؛ أما الأسباب التى تدعونى إلى الزواج فهى أولا — أنى أظن أن من الخير لكل قسيس أن يكون قدوة لغيره فى هذا ، وثانيا — أنى واثق من أن الزواج سيزيد كثيرا من سعادتى ، وثالثا — لأن السيدة كترین قد أشارت على بالزواج .

« ولما كنت أنا الوارث لهذه الضيعة بعد موت أبيك المحترم فقد قررت أن أختار لى زوجة من بناته . وأنا عارف أنك لا تملكين مالا ، ولن أعيب عليك هذا بعد زواجنا » .

وكان لزاما عليها أن تقطع عليه حديثه الآن .

فصاحت قائلة : « لقد تعجلت ياسيدي فوق ما يجب ؛ وإنك
لتنسى أنى لم أجبك بشيء . فتقبل شكرى بنظير ما أثنت به على ،
ولكنى لا يسعنى إلا أن أرفض اقتراحك هذا » .

فأجاب مستر كلنز بإشارة من يده : « إنى أفهم جيدا أن من
عادة الفتيات أن يرفضن الرجل الذى يقصدن فى خبيئة أنفسهن أن
يقبلنه حين يعرض عليهن الزواج أول مرة » .

فصاحت إلزبت : « أقسم لك بشرى ياسيدي أنى جادة كل الجدة
فى رفضى » .

وواصل مستر كلنز حديثه قائلا : « وحين أتحدث إليك فى هذا
الموضوع فى المرة الثانية ، أنتظر أن ألقى منك ردا أجمل من هذا »
وحاولت إلزبت دون جدوى أن تجعله يؤمن بصدق قولها ، ذلك
أنه كان يعتقد بنفسه وبمركزه فوق ما يجب . وأشار إلى أنها فى حال
من الفقر لا تسمح لها بأن تتلقى عروضاً أخرى كثيرة . ولم يجد
لديها هى جواباً عن إصراره على خداع نفسه ، وغادرت المكان من
فورها وهى صامتة ، واعتزمت أن تلجأ إلى أبيها .

الفصل السابع عشر

وكانت مسز بنت تنتظر خاتمة هذا الحديث في الردهة ، فلم تكذب
تري الزبث تفتح الباب ، وتغربها مسرعة نحو السلم ، حتى دخلت
حجرة الإفطار وأخذت تهنيء مستر كلنز وتهنيء نفسها . وتلقى
مستر كلنز تمنياتها الطيبة ورد عليها بمثلهما ، ولكنه لما أخذ يبسط
لمسز بنت تفاصيل ما جرى بينه وبين الزبث من الحديث أدهشتها
هذه المعلومات .

وقالت له : « ولكن ثق يا مستر كلنز أن لزي سترغم على أن
تعود إلى صوابها . وسأحدث إليها أنا نفسي على الفور ، إنها فتاة
حقاء ، ولا تعرف ما فيه الخير لها ، ولكنني سأرغمها على أن تعرفه .
سأذهب إلى مستر بنت وأنا واثقة من أننا سنحسم الأمر معها » .
ولم تشأ أن تترك له وقتا يرد فيه عليها ، بل بادرت بالذهاب
إلى زوجها ، وصاحت به وهي تدخل المكتبة :

« أي مستر بنت ؛ إنا في حاجة إليك على الفور ، إن عليك أن
تأتني لتأمر لزي بأن تتزوج مستر كلنز ، لأنها أقسمت ألا تنزوجه »
ورفع مستر بنت عينيه عن الكتاب حين دخلت عليه الحجرة ،
وأحس في وجهها بهدوء وعدم اكتراث ، لم يغير منهما قط ما
أفضت إليه به من المعلومات :

فلما فرغت من حديثها قال لها : « إنى لم أحظ بفهم ما تقولين ،
عن أى شيء تتحدثين ؟ » .

« عن مستر كلنز ولزى ، لقد صرحت لزى بقولها إنها لن تتزوج
مستر كلنز ، وإذا لم تبادر أنت فإنه سيغير رأيه ويرفض الزواج بها »
« وماذا أفعل أنا فى هذا الأمر ؛ إنه يبدولى عملا لا رجاء فيه »
« فلتكلم لزى فى الأمر بنفسك ، ولتخبرها بأنك تصر على
زواجها به » .

« مر بها أن تنزل ، وستستمع إلى رأى » .
« ودقت مسز بنت الجرس ، ودعيت الأنسة إلزبت إلى المكتبة »
فلما بدت قال لها والدها : « أقبلى يا ابنتى ، لقد أرسلت فى طلبك
لأمر هام ، لقد علمت أن مستر كلنز عرض عليك أن يتزوج بك .
فهل هذا صحيح ؟ » وأجابت إلزبت بأنه صحيح . « حسن جدا ، وقد
رفضت عرضه هذا ؟ » .

« نعم يا سيدى رفضته »
« حسن جدا ؛ والآن نصل إلى النقطة المهمة . إن أمك تصر على
أن تقبلية زوجا لك ؛ أليس كذلك يا مسز بنت ؟ »
« بلى هو كذلك ، وإلا فإنى لن أراها بعد قط » .
« إن أمامك يا إلزبت اختيارا ليس فيه حظ لاختار . إنك
ستصبحين من هذا اليوم غريبة عن أحد والديك ، فإن أمك لن

ترك بعد اليوم إذا لم تتزوجي بمستر كلنز ، ولن أراك أنا بعد اليوم
إذا تزوجت به .

ولم يسع إلزبت إلا أن تنقسم لهذه الخاتمة التي اختتمت بها
تلك البداية ، ولكن مسز بنت خاب رجاؤها أشد خيبة ؛ على أنها
مع ذلك لم تستسلم لهذا الأمر ، فأخذت تتحدث إلى إلزبت المرة بعد
المرة ، تحاول أن تقنعها تارة ، وتوعدها تارة أخرى ، وظل مستر كلنز
في هذه الأثناء صامتا مغضبا ، فقد كان يحسن الظن بنفسه إلى
درجة لا يفهم معها كيف ترفضه ابنة عمه .

وبينا كانت الأسرة على هذه الحال إذ جاءت شارلوت لوكاس
لتقضى يوما معها ، وحول مستر كلنز أنظاره إليها ، ووجدت إلزبت
في هذا ما يريح بالها أعظم راحة .

الفصل الثامن عشر

وذهبت البنات إلى مريتين مشيا على الأقدام في اليوم الثاني عقب الإفطار ليعرفن هل عاد مستر وكهام أولم يعد ؛ وانضم هو لهن وقت دخولهن المدينة ورافقهن إلى بيت خالتهن ، وفسر لالزبت سبب غيابه عن حفلة الرقص بقوله :

« لقد وجدت حينما اقترب موعد الحفلة أن من الخير ألا أقابل مستر دارسى — وأن وجودى فى مكان واحد معه قد يكون عمالا أطيقة .

ووافقت إلزبت كل الموافقة على هذا رأى السيد . وعاد معها وكهام وضابط آخر إلى لنجبورن ، فاستطاعت بذلك أن تعرف به أمها وأباها .

وبعد عودتهن بزمن قليل تلقت الآنسة بنت رسالة من نذرفيلد ففوضنها على الفور ؛ وشاهدت إلزبت أن وجه أختها قد تغير وهى تقرأها . على أنها مع ذلك استطاعت أن تضبط عواطفها ، ثم أخفت الرسالة واشتركت فى الحديث بمرحها المألوف ، ولم يكدها الضابطان يغادران البيت حتى نظرت حين نظرة إلى إلزبت تدعوها بها إلى أن تتبعها إلى الطابق الأعلى .

فاما دخلتا حجرتهما أخرجت حين الرسالة وقالت : « إن هذه

الرسالة من كارولين بنجلي ، وقد أدهشنى ما فيها كثيرا . لقد غادروا جميعا نذر فيلد قبل أن تصل الرسالة إلى يدى ، وليس فى نيتهم أن يعودوا إليها أبداً .

ثم شرعت تقرأ الرسالة بصوت عال ، وقد عبرت فيها كاتبها عن أسفها على فراق چين ، وألحت عليها بأن تكتب إليها كثيرا . وقالت إلزبت إن هذا قول لا ينطوى على شىء من الإخلاص . وجاء فى الرسالة أيضا أن لدى مستر بنجلي عملا فى لندن ، وأنه لن يعجل بمغادرة هذه المدينة صرة أخرى .

وقالت چين : « يتضح من هذا أنه لن يعود فى هذا الشتاء . »
« بل كل ما تدل عليه الرسالة أن الأنسة بنجلي لا تريد منه أن يحضر . »

« ولم تظنين هذا ؟ لابد أن يكون هذا من عمله فهو سيد نفسه ، ولكنك لا تعرفين كل شىء ، وسأقرأ إليك الفقرة التى تؤلمنى بنوع خاص ، فإنى لن أخفى عنك شيئا من أسرارى . » ثم أخذت الرسالة تتحدث عن جمال أخت مستر دارسى الصغرى ، وعن إعجاب بنجلي بها ، وعن رجاء الأسرة أن يتزوج بها .

« أليس هذا واضحا كل الوضوح ؟ أليس فى هذا ما يدل بجلاء على أن كارولين لا تريد أن تكون زوجة لأخيها ، وأنها تعتقد أن أخاها لا يعنى بى ؟ وهى تقصد — بمبارة رقيقة جدا — أن تحذرنى . وهل يمكن أن يكون لاحد غير هذا الرأى فى الموضوع ؟ »

« نعم يمكن أن يكون ؛ لأن رأيي أنا يختلف عن هذا كل الاختلاف . لقد رأت الآنسة بنجلى أن أخاها يحبك ، وهى تريد أن يتزوج بالآنسة دارسى ، وستتبعه هى إلى المدينة راجية أن تستبقيه فيها ، وتحاول أن تقنعك بأنه لا يعنى بك » .

وهزت حين رأسها

« والحق يا جين أن عليك أن تصدقينى ، فما من أحد رأى معا يستطيع أن يرتاب فى حبه إياك . ولكن المشكلة هى هذه : —
إننا ليست لنا الثروة ولا المكانة التى يريدونها »

وأخذت إلزبت تواسى أختها بمحدثها ، وما زالت بها حتى أقنعتها شيئاً فشيئاً بأن مستر بنجلى سيعود بعد زمن ويحقق كل رغبة يخفق بها قلبها . وقررت الأختان ألا تطلعا أمهما إلا على أن المقيمين فى نذر فيلد قد غادروا المكان ليقضوا بعيداً عنه وقتاً قصيراً .

الفصل التاسع عشر

ودعيت أسرة بنت للعشاء مع أسرة لوкас ، وفي هذه المرة أيضا تفضلت الأنسة لوкас بأن قضت معظم الوقت تتحدث إلى مستر كلنز ، وشكرتها إلزبت أعظم الشكر ، وأكدت شارلوت لصديقتها أنها يسرها أن تؤدي لها أية خدمة . وكان هذا مجاملة طيبة ، ولكن مجاملة شارلوت لها كان الباعث عليها شيئا لم تفكر فيه إلزبت — لقد كانت تريد أن تجتذب مستر كلنز إليها ، ولولا أنه كان على وشك الرحيل من لنجبور لشعرت أنها قد أفلحت في قصدها حين افترقت الأسرتان ليلا . ولكن مستر كلنز لم يضع وقته سدى ، ففر من بيت آل بنت بدهاء عظيم في الصباح الباكر من اليوم الثاني ، وشاهدته الأنسة لوкас من نافذة عليا وهو يتجه نحو بيت أبويها ، فسارت لتقابله مصادفة ، وتلقت منه اقتراحه بزواجها في حديقة الدار .

وعرض الأمر على سير وليم والسيدة لوкас ليوافقا عليه فوافقا من فورهما . فقد كانت ظررف مستر كلنز وقتئذ مما يجعل هذا الزواج زواجا طيبا لابنتهما التي لن ترث منهما إلا القليل ، وسيصبح هو في المستقبل وارث أملاك مستر بنت . ورضيت شارلوت بهذا . نعم إن مستر كلنز لم يكن ذا عقل ولا ظررف ، ولكنها هي الأخرى كانت في السابعة والعشرين من عمرها ، وقل أن يتاح لها رجل غيره

يمرض عليها أن تتزوج به

وصممت على أن تبلغ الخبر إلى آل بنت بنفسها ، ولهذا طلبت إلى مستر كلنز ألا يقول لهم شيئاً حين يعود إلى لنجيبورن ، وكان قد عقد النية على أن يغادرها في اليوم الثاني .

ولما أفضت شارلوت بالخبر إلى إلزبت على انفراد بلغت دهشتها حداً لم تستطع معه إلا أن تصيح :

« خُطبت إلى مستر كلنز ! يا عزيزتي شارلوت ، إن هذا مستحيل ! » .

وأجابتها شارلوت بقولها : « إنني أعرف ما تشعرين به . إنك لا بد أن تدهشي ، وأن تدهشي كثيراً ، لأن مستر كلنز كان يرغب من وقت قريب في أن يتزوج بك . ولكنني لست ممن يرغبن في الحياة الروائية الصاخبة العجيبة ، بل كل ما أطلبه هو البيت الطيب المريح » .
وردت عليها إلزبت بهدوء ، وبعد صمت ممل عجيب عادت الفتاتان وانضممتا إلى سائر الأسرة ، ولم يطل مكث شارلوت بعد هذا ، وبقيت إلزبت تفكر فيما سمعته . ولم يكن ما في تقدم مستر كلنز بطلبين مختلفين للزواج في خلال ثلاثة أيام من الغرابة ليعد شيئاً جديراً بالذكر إذا قيس إلى ما في قبول طلبه الثاني وقتئذ . ذلك أنها لم تكن تتوقع أن تضحي شارلوت بكل إحساس راق في نظير المصالح المادية الدنيوية . وأحست بأن صديقها قد جللت نفسها

بالعار ، ولم تعتقد أن في مقدورها أن تكون سعيدة في الحياة التي اختارتها لنفسها . أما زوجة المستر بنت فلم تطق سماع النبأ ، ومر أسبوع كامل لم تكن ترى فيه إلزبت إلا أنبتها على فعلتها ، ومر شهر لم تتحدث فيه إلى سير وإيم أو إلى مستر لوكاس من غير أن تظهر لهما سوء الأدب . ولم تكن السيدة لوكاس يعوزها السرور حين كان في مقدورها أن تتحدث إلى مسز بنت عن اطمئنانها إلى أن بنتا من بناتها ستزوج زواجا طيبا ، وأخذت تتردد على لتجورن أكثر من عاداتها بعض الشيء لتخبر من فيها بأنها جد سعيدة . أما إلزبت وشارلوت فقد كان بينهما شيء من الحفاء عقد لسانهما عن الحديث في هذا الموضوع ، وشعرت إلزبت بأنهما لا يمكن أن تقوم بينهما ثقة حققة بعدئذ ، ولذلك وجهت التفاتها إلى أختها جين ، وأظهرت لها من الحب أعظم مما كانت تظهره من قبل ، وأخذت رغبتهما في سعادتهما تزداد في كل يوم .

الفصل العشرون

ولم يكن غياب مستر بنجلي الدائم ليربح بالچين أو إلزبت ، وحتى إلزبت نفسها بدأت تخشى أن تفلح أخواته أو ملاهى لندن في أن تبقيه بعيدا عنهما ، وإن لم تكن تخشى أن تتبدل عواطفه نحوها . وكانت چين تحب أن تخفي قلقها ، فلم تذكره قط لأحد ، ولكن قلما كانت تمر ساعة دون أن تنطق فيها أمهم بعبارة تتطلب من چين كل ما وهبت من الصبر للسكوت عليها .

وكانت مسز بنت في حقيقة الأمر في حال يرثى لها أشد الرءاء ، وكانت لانفتأ تظهر دهشتها من عدم عودة مستر بنجلي ، وكانت تكره أن ترى الآنسة لوکاس ، ولما كانت هي التي ستخلفها في ذلك البيت فقد كانت تغار منها وتحقد عليها . وكلما جاءت شارلوت لزيارة الأسرة اعتقدت هي أنها لا تفكر إلا في الساعة التي تستحوذ فيها على البيت .

وكانت چين قد كتبت إلى الآنسة بنجلي ، وجاءها الرد منها وقتئذ فبدد كل ما كان يخالج عقلها من وساوس ، فقد جاء في الجملة الأولى منه أنهم جميعا قد استقروا في لندن ، وأنهم سيقضون فيها فصل الشتاء . واختتمت الرسالة بإظهار أسف أخيها لأنه لم يجد متسعا من الوقت يستأذن فيه من أصدقائه قبل سفره

وهكذا ضاع الأمل ، ضاع الأمل كله ، وتوزع قلب الزبث بين
العطف على أختها ، والغضب من الآخرين . وكانت في خبيثة نفسها
تلوم مستر بنجلي لضعفه الذي جعله ينصاع لآراء أخواته ، ووسوست
لها نفسها أن مستر دارسي كانت له هو الآخر يد في هذا ، فكان
ذلك من أسباب غضبها عليه

وصبرت حين على آلامها بظرف ورقة ، وحاولت أن تقنع نفسها
بأن حب مستر بنجلي إياها لم يكن إلا وهما تخيلته هي ، وأن اللوم
في ذلك واقع عليها وحدها .

الفصل الحادى والعشرون

وسر مسز بنت أن تستقبل أخاها وزوجته في غد ذلك اليوم ، وقد جاء من لندن ليقضيا عيد الميلاد في لنجبورن كعادتهما في كل عام . وكان مستر جاردنر رجلا عاقلا مهذبا أرق من أخته كثيرا ، وكانت زوجته أصغر من مسز بنت بعدة سنين ، وكانت امرأة بشوشة ذكية أنيقة في ملابسها محببة إلى بنات أخت زوجها .

وكان أول ما عملته مسز جاردنر بعد مجيئها أن قدمت هداياها ، وأن أخذت تصف أحدث الأزياء ، فلما فرغت من هذا أضحت أقل مما كانت نشاطا ، وأصبح عليها أن تمثل دور المستمع . وكان ماتريد مسز بنت أن تتحدث عنه من المتاعب ، وما تريد أن تبثه من الشكوى كثيرا . لقد كانت ابنتان من بناتها على وشك أن تزوجا ، ولكنها قالت إن هذا لا يهم كثيرا .

ثم أضافت إلى ذلك قولها : « إنى لا ألوم جين ، أما لى ! آه ! يا أختى ! إنى ليصعب على أن أفكر في أنها لولا خبيثها لكانت الآن زوجة مستر كلنر ! لقد عرض عليها الزواج في هذه الحجرة نفسها ، ولكنها رفضته . وكانت نتيجة ذلك أن السيدة لو كاس ستزوج بنتا من بناتها قبلى . إن هذه الآلام التى تسببها لى أمرتى لتؤثر أسوأ الأثر فى أعصابى . لكن فى محبتك إلينا فى هذا الوقت أعظم السلوى ،

وإني ليسرني أعظم السرور أن استمع إلى ما تقولينه عن الأكام الطويلة .
ولما اختلت مسز جاردنر بعدئذ بالزيت أخذت تحدثها عن
موضوع چين : « مسكينة چين ! إني ليؤلني ما أصابها ، وإن طباعها
قد لا تمسكها من التغلب على هذه الحال إلى وقت ما . واسكن هل
تظنين أنه يمكن إقناعها أن تعود معنا إلى المدينة ، فقد يكون في تغيير
المنظر ما يفيدها ؟

وسرت إلزبت غاية السرور من هذا الاقتراح .
وواصلت مسز جاردنر حديثها قائلة : « أرجو ألا يؤثر فيها أى
تفكير في هذا الشاب . فنحن نسكن في حي من المدينة بعيد عن
الحى الذى يسكن فيه ، ونختلط بطبقة من الناس غير الذين يختلط
هو بهم ، ولهذا لا يحتمل أن تقابله إلا إذا جاء هو ليراها عن قصد » .
وقبلت الأنسة بنت دعوة زوجة خالها مغتبطة . ورحلت أسرة
جاردنر عن لنجبورن بعد أن أقامت فيها أسبوعا ، وقبل أن تغادر
مسز جاردنر البيت أسدت إلى إلزبت بعض النصيح لأن سلوكها أثار
في نفسها بعض الظن بأنها تشعر بشيء من الحب لمستر وكهام .

« وأريد جادة أن تكونى على حذر . نعم إني ليس لدى ما أخذه
عليه ، فهو شاب ممتع إلى أقصى حد ، ولو كان له من المال ما يجب
أن يكون له ، لاعتقدت أنك لا تجددين خيراً منه . أما والحالة كما
هى — فإن لك عقلا ، ونحن كلنا ننتظر منك أن تنقضى به ، فلا
تخيبى رجاء أبيك فيك » .

الفصل الثانى والعشرون

كان شهرا يناير وفبراير شهرين خاليين من أسباب المتعة . فقد أحزن إلزبت أن تفارق چين ، وتزوجت شالورت ، ورحلت إلى هنزفورد ، ولم تجد البنات ما يقضين فيه الوقت غير السير إلى صريتن فى الأقدار تارة وفى البرد تارة أخرى .

وكتبت إلزبت رسائل كثيرة ، وتلقت مثلها ، وظلت تكتب شارلوت بانتظام كما كانت تكتبها من قبل ، وإن لم يكن فى رسائلهما من الصراحة ما كان فيها فى الأيام السابقة . وكتبت چين من لندن تقول إنها لم تر الآنسة بنجلى ولم تتلق رسالة منها . على أنها قد فسرت هذا بأن افترضت أن رسالتها الأخيرة التى بعثت بها صديقتها من لنجبورن قد فقدت لسبب ما

وأضافت إلى ذلك قولها : « إن زوجة خالى ستذهب غدا إلى ذلك الحى من أحياء المدينة ، وسأنتهز هذه الفرصة لأزور كارولين » . وكتبت مرة أخرى بعد الزيارة تقول : « لست أظن أن كارولين كانت منسرحة الصدر ، ولكنها سرت لرؤيتى ، ولامتنى على أنى لم أخبرها بمجيئى إلى لندن ؛ وإذن فقد كنت صادقة فى ظنى أن رسالتى لم تصل إليها قط . وسألتها عن أخيها بطبيعة الحال ، فعلمت أن عمله كثير إلى حد قلم يمكن الأسرة من أن تراه . ولم تطل

زيارتى كثيرا لأن كارولين ومسر هرست كانتا تهماان بالخروج .

وهزت إلزبت رأسها حين قرأت هذه الرسالة .

وانقضت أربعة أسابيع لم تر حين في خلالها مستر بنجلى ، ولم تكن ليفوتها بعدئذ إهمال الأنسة بنجلى لها . ثم جاءت الأنسة بنجلى أخيراً ، ولكن قصر المدة التى أقامتها ، وما طراً على أخلاقها من تبدل — وهو أهم في نظر حين من قصر مدة الزيارة — لم يسمحا لحين بأن تظل على خداعها لنفسها .

فلم يكن يخفى على حين أن الأنسة بنجلى لم تكن مسرورة من مجيئها ، وقد اعتذرت اعتذاراً شكلياً فأترا عن أنها لم ترها قبل ذلك الوقت ، ولكنها لم تقل كلمة واحدة عن رغبتها في زيارتها مرة أخرى ، وقد تبدلت أحوالها من جميع الوجوه تبديلاً جعل حين تصمم على أن تقطع صلتها بها .

وكتبت إلزبت إلى مسر جاردنر تحذرها عن شؤونها ، فأنبأها أن وكهام لم يعد يوجه التفاته إليها ، وأنه يعجب الآن بالآنسة هيميرى كنج ، وهى فتاة ورثت فجأة عشرة آلاف جنيه . على أن قلب إلزبت لم يكن قد تأثر بحب وكهام إلا قليلاً ، وأرضت كبرياءها باعتقادها أنها لو أوتيت من الثروة ما يسمح لها بزواجه لما اختار غيرها هى .

الفصل الثالث والعشرون

واتفق أن تذهب إليزبث إلى هنزفورد بدعوة من شارلوت في شهر مارس ، ولم تكن قد فكرت تفكيراً جدياً في الذهاب إلى هناك في أول الأمر ، ولكنها وجدت أن صديقتها كانت تهتم بهذه الزيارة . وكان غياب شارلوت عنها قد زاد شوقها إلى رؤيتها مرة أخرى ، وقلل اشمزازها من مستر كلنز . هذا إلى أن الرحلة ستمكنها من إلقاء نظرة على جين لأنها ستقضى ليلة في لندن .

واتفق أن يصحبها في الزيارة سيروليم لوكاس وابنته الثانية مارية . ولم يكن طول الرحلة أكثر من أربعة وعشرين ميلاً ، وقد شرعوا فيها مبكرين حتى يكونوا في لندن وقت الظهر . ولما اقتربوا بالعربة من باب مستر جاردنر ، كانت جين تطل من نافذة حجرة الاستقبال تتقرب وصولهم ، ولما دخلوا الردهة كانت هناك لتحييهم . ونظرت إليزبث إلى وجهها نظرة فاحصة ، وسرها أن تراه على ما كان قبل من صحة ورونق . وكان على الدرج طائفة من صغار الأولاد والبنات ، لم تسمح لهم لطفهم على رؤية ابنة عمهم بأن ينتظروا في حجرة الاستقبال ، ولكن حياءهم منها الناشئ من عدم رؤيتهم إياها سنة كاملة قد منعهم أن ينزلوا على الدرج أكثر مما نزلوا .

وكان كل ما في الدار يشمر بالمرور والعطف ، وانقضى اليوم

على أحسن حال من البهجة والغبطة ، فانقضى عصره في شراء بعض السلع ، وانقضى المساء في أحد المسارح .

واستطاعت إلزبت بعدئذ أن تجلس إلى جوار زوجة خالها . وكان أول موضوع للحديث الذي دار بينهما هو موضوع أختها ؛ وكان ألها أشد من دهشتها حين سمعت أن جين وإن حاولت أن تبدو باشة مرحة ، كانت في بعض الأوقات تبدو جد حزينة ، على أنه كان من المعقول أن أوقات الحزن هذه لن تدوم طويلا .

وقبل أن يفرقوا بعد نهاية المسرحية تلقت إلزبت من خالها وزوجته نبأ لم تكن تنتظره سرت له غاية السرور ، وهو دعوتها إلى مرافقتهما في رحلة تفكران في القيام بها في فصل الصيف .

وقالت مسز جاردنر : « إننا لم نقرر بعد إلى أية مكان نصل في هذه الرحلة ، ولكننا قد نصل إلى إقليم البحيرات » . ولم يكن ثمة فكرة أحب إلى إلزبت من هذه الفكرة ، فقبلت الدعوة من فورها شاكرة .

الفصل الرابع والعشرون

كان كل شيء في رحلة اليوم الثاني جديداً أمتعاً في نظر إلزبت ، فلما أن خرجوا من الطريق الكبير العام إلى الطريق الصغير المؤدى إلى هنزفورد ، كانت أعينهم جميعاً تتطلع إلى دار القس . فلما لاح لهم أخيراً رأوا مستر كلنز وشارلوت في انتظارهم عند الباب ، ووقفت العربّة عند الباب الصغير بين تحيات الجماعة وابتساماتها ، وحيث مسر كلنز صديقتها وهي مبهجة أعظم ابتهاج ، وكان سرور إلزبت من مجيئها يزداد في كل لحظة حين وجدت أنها قد استقبلت هذا الاستقبال الودى .

ولم يكن يسمعها حين أخذها مستر كلنز ليريها بيته وأثاثه ، ودلائل الإعجاب بادية عليه ، إلا أن تظن أنه يريد أن يشعرها بما خسرت حين أبت أن تتزوجه . على أنها لم تستطع أن تشبع فيه هذه الرغبة بإظهار أية إشارة تدل على ندمها على فعلتها ، بل أخذت بدلا من هذا تنظر إلى صديقتها وهي تعجب كيف تبسّدو عليها مظاهر الاغتباط في صحبة زوج كزوجها . ودعاهم صاحب الدار بعد أن فرغوا من إعجابهم بالبيت لأن يتزهوا في الحديقة ، وكان العمل فيها من أكبر ملذاته ، وابتسمت إلزبت في سريرتها حين سمعت شارلوت تتحدث عما تؤدى إليه هذه الرياضة من صحة في الجسم ، وتقول إنها

تشجيعها أعظم ما تستطيع من تشجيع .
وكان البيت على صغره أنيقا مريحا ، وكانوا إذا نسوا مستر كلنز
يجدون في كل جزء من أجزائه في واقع الأمر أعظم مظاهر الراحة .
وظفت إلزبت حين أبصرت ما يبدو على شارلوت من غبطة أن مستر
كلنز لا بد أن يُنسى في أكثر الأوقات .

وذكر في وقت الطعام أن السيدة كثيرين لا تزال في الريف ،
وأخذ مستر كلنز يفصل القول في وصف عنايتها به وبشارلوت ،
وأظهر أنه يتوقع أن تلاحظ إلزبت بعنايتها .

وأنقضت معظم السهرة في الحديث عن الأخبار التي جاءتهم من
بلدهم ، ولما فرغوا منها آوت إلزبت وهي هادئة إلى حجرتها ، ولم
يسمعها إلا أن تفكر في حظ شارلوت من القناعة ، وأن تفهم حذقها
في القيادة وسيطرتها على نفسها حتى أمكنها أن تتحمل زوجها ،
وكان لا بد لها أن تقر بأنها قد أحسنت في ذلك أيما إحسان .

وبينا كانت إلزبت في حجرتها حوالى الظهر تستعد لنزهة
سيرا على الأقدام ، إذ سمعت جلبة مفاجئة في الطابق الأسفل دلت
على أن البيت كله في هرج ومرج ، فأصغت إلى ذلك قليلا ، ثم
سمعت وقع أقدام إنسان يصعد الدرج في سرعة عنيفة ويناديها
بصوت عال ، ففتحت الباب وأبصرت مارية وقد جاءت تدعوها إلى
النزول في تلك اللحظة .

وحاولت إلزبت عبثا أن تعرف جليلة الخبر ، لأن مارية لم تشأ أن

تخبرها بشيء غير دعوتها إلى النزول ، فأسرعت إلى حجرة الطعام
لتعرف حقيقة هذا الأمر العجيب ، فأبصرت سيدتين راكبتين في
عربة واقفة عند باب الحديقة .

وصاحت إلزبت قائلة : « وهل هذا كل شيء ؟ إن أقل ما كنت
أتوقعه أن تكون الخنازير قد انطلقت في الحديقة ، وهأنذا لا أرى
إلا السيدة كترين وابنتها ! » .

وقالت مارية وقد ذهلت من هذا الخطأ : « لا يا عزيزتى ! ليست
هي السيدة كترين ، فإن السيدة المسنة هي مسز چنكنسن عشيرتها .
أما الأخرى فهي الآنسة ده بورج . انظري إليها فهل كان أحد يظن
أنها نحيلة ضئيلة الجسم إلى هذا الحد ! » .

وقالت إلزبت وقد جالت بخاطرها أفكار أخرى : « إنى أحب
مظهرها ؛ إنها تبدو ضعيفة غاضبة ؛ نعم إنها توأمة كل المواءمة ، إنها
تصلح لأن تكون له زوجة طيبة » .

الفصل الخامس والعشرون

وكان الغرض من زيارة السيدتين هو دعوة الجماعة كلها إلى تناول العشاء في روزنجس حيث تسكن السيدة كترين . وكان الظفر الذي ناله مستر كلنز بهذه الدعوة ظفراً كاملاً ليس ينقصه شيء ؛ وكانت الدعوة أن تكون وحدها موضوع الحديث طوال يوم الزيارة وصباح اليوم الثاني . وأخذ مستر كلنز يعنى بإرشاد السيدات إلى ما ينتظره هناك حتى لا تُدهشنه كل الدهشة مناظر الحجرات وكثرة الخدم ونخامة الطعام . وقد جاء إلى أبواب حجرهن وهن يلبس ثيابهن ليحشن على الإسراع ، لأن السيدة كترين تكره كل الكره أن يتأخر موعد عشاءها . وكان هذا الوصف وأمثاله يخيف مارية لو كاس كثيراً لأنها لم تتعود غشيان المجتمعات ، أما إلزبت فلم تخنها شجاعتهما ، لأنها لم تسمع عن السيدة كترين شيئاً يبعث في نفسها الإجلال لحدق تشهره خارق للعادة أو فضيلة لها عجيبة . أما العظمة التي منشؤها المال أو المنزلة فقد ظنت أنها تستطيع أن تنظر إليها في غير وجل

ورأت إلزبت نفسها جديرة كل الجدارة بأن تقدم إلى السيدة العظيمة ؛ وكان في وسعها أن تشاهد السيدات الثلاث اللاتي كن أمامها وهي هادئة . وكانت السيدة كترين امرأة طويلة القامة ضخمة

الجسم واضحة معارف الوجه . ولم تكن تبدو عليها مظاهر الود والآلفة ، ولم تكن طريقة استقبالها لضيوفها مما يحملهم على أن ينسوا أنهم أقل منها شأنًا . وكانت تنطق بكل ما تقوله بلهجة السيدة الآمرة مظهرة بذلك عظم شأنها . وبدأت الآنسة ده بورج شاحبة اللون ضعيفة الجسم ، ولم تتحدث إلا لستر چنكنسن بصوت خافت . ولم يكن لهذه السيدة من شغل يشغلها إلا الإصغاء لما تقول .

وكان العشاء ظريفا إلى أقصى حد ، وكان كل ما فيه محققا ما وعد به مستر كلنر ، وأخذ هو يثنى على كل شيء بصوت عال ، وكان سير وليم لا ينفك يردد صدى ثنائيه . وأخذت السيدة كترين تبسم ابتسامات المن والعظمة ، وبدأت أنها راضية عن إعجاب الضيوف البالغ أقصى حد

ولما عادت السيدات إلى حجرة الاستقبال لم يكن للبهن ما يفعله إلا أن يصغين إلى حديث السيدة كترين ، وانطلقت هذه تتحدث بلا انقطاع ، وتبدي آراءها في كل شيء بطريقة حاسمة تدل على أنها لم تتعود قط أن يناقش أحد أحكامها . وأخذت تسأل إلزبت أسئلة كثيرة عن أسرتهما وعن عدد أفرادها ، وعن تعليمهن ، وهل يحتمل أن تتزوج إحداهن ، وماذا كان اسم أمها قبل أن تتزوج . وأحست إلزبت بما في هذه الأسئلة من سوء الأدب ، ولكنها أجابت عنها في هدوء ، ثم قالت السيدة كترين !
« هل تعرفين العزف والغناء يا آنسة بنت ؟ »

« قليلا »

« إذن فإننا نيسرنا أن نسمعك وقتما ما . إن بياننا من نوع جديد ،
ولعله أحسن من بيان — . وهل تعترف أخواتك وتغنين ؟ »
« إن إحداهن تعترف وتغنى » .

« ولستم لم يتعلمن كلهن ؟ لقد كان من واجبك أن تعلمنهما ؛
وهل تعرفين الرسم ؟ » .

« لا أعرف منه شيئا » .

« ما هذا ، ألا تعرفه إحداكن ؟ » .

« ليس منا من تعرفه » .

« إن هذا الأمر جد عجيب ، ولكنني أظن أنك لم تسنح
لكن الفرص . وهل أتت إحدى أخواتك الصغرى تعليمها وسمح
لها بالاختلاط بالمجتمع يا آنسة بنت ؟ » .

« نعم كلهن » .

« كلهن ! الخمس ! كلهن مرة واحدة يختلطن ؟ إن هذا شيء جد
عجيب ! ولست أنت إلا ثمانية أخواتك ، كم عمرك من فضلك ؟ » .
فأجابتهما إلزبت وعلى ثغرها ابتسامة : « إذا كان ثلاثة من
أخواتي الأصغر مني قد كبرن فإن سيادتكم قلما تنقظرين مني أن
أبوح لك بشيء » .

وبدت الدهشة العظيمة على السيدة كثيرين لأنهما لم تتلق عن
سؤالها جوابا صريحا ، وظنت إلزبت أنها هي أول مخلوق جرؤ على
أن يعبت معها هذا العيب .

« إني واثقة من أنك لا يمكن أن تكوني أكثر من عشرين —
ومن أجل هذا فلا حاجة لك بأن تخفي سنك » .
« ليست سني إحدى وعشرين » .

ولما انضم إليهن الرجال أعدت مناضد لعب الورق فجلست السيدة
كترين إلى واحدة منها تلعب مع سير وليم ومستر كلنز وزوجته .
وجلست إلى الثانية الأنسة ده جورج ومعها مسز چنكمنسن والفتاتان .
وظلت السيدة كترين تتحدث وتشير إلى الأخطاء التي يخطئها غيرها
من اللاعبات واللاعبين . وشغل مستر كلنز بالواقعة على كل ما
تقوله ، وشكرها على كل دور يكسبه ، واعتذاره إذا ظن أنه قد
كسب أكثر مما يجب أن يكسبه من الأدوار . أما من كانوا جالسين
إلى المنضدة الأخرى فقلما كانوا ينطقون بكلمة ، ووجدت إلزبث
أن اللعب سخييف ممل .

الفصل السادس والعشرون

وسرعان ما انقضى الأسبوعان الأولان من إقامة إلزبت في هدوء ، تتخللهما نزحات على الأقدام وزيارات متفرقة إلى روزنجس . واقترب عيد الفصح ، وكان مقرراً أن ينضم فيه عدد من الزوار إلى الأسرة المقيمة في روزنجس . فقد كانت زيارة مستر دارسى منتظرة في ذلك الوقت ؛ ولما جاء كان معه قريب له يدعى الكولونل فتروليم وجاء إلى بيت النقس بعد قدومهما بيوم واحد . كان الكولونل فتروليم في الثلاثين من عمره ، وكان رجلاً وسيماً ، ولكنه كان في هيئته وأخلاقه مثالا للرجل الكامل المذهب . وظهر مستر دارسى بمظهره المعتاد لم يتحول عنه قط ، فكان مؤدباً ولكنه لم يتكلم إلا قليلاً . ولم ترد إلزبت على أن حقيقته بانحفاة ولكنها لم تخاطبه بكلمة .

وبدأ الكولونل فتروليم حديثه في الحال وبالطلاقة والسهولة اللاتفتين بالرجل الحسن التربية . وسأل مستر دارسى إلزبت بعد سكوت طويل عن صحة أسرتها ، فأجابته بالطريقة المألوفة ، وأضافت إلى جوابها بعد صمت قصير :

« إن أختي الكبرى تقيم في لندن من ثلاثة شهور ، فهل اتفق لك أن رأيتهما هناك ؟ » .

وخيل إليها أنه قد بدا عليه شيء من الارتباك ، وهو يجيبها عن سؤالها بأنه لم يسعده الحظ بقاء الأنسة بنت . ومضت بضعة أيام قبل أن تصلهم الدعوة الثانية من روزنجس . وسبب ذلك أن الحاجة لم تكن تدعو إلى وجودهم في ذلك المكان إذا كان فيه زائرون . فلما تلقوا الدعوة وانضموا إلى من كان في حجرة استقبال السيدة كترين استقبلتهم هذه السيدة بأدب ، ولكنه لم يكن خافيا أنها لم ترحب بهم كما كان يرحب بهم وقت أن لم يكن غيرهم من الزوار في الدار .

وبدا على الكولونل فتزوليم أنه مسرور حقاً لرؤيتهم ، ذلك أن أى شيء كان يخفف من سامة روزنجس ، ورأى صديقة مسر كلز الجميلة فراقه جمالها ، وجلس إلى جانبها ، وأخذ يتحدث إليها حديثاً ممتعاً ، لم تمتع إلزبت في هذه الحجرة من قبل بحديث يحتوى نصف ما يحتويه من المتعة . وتحدث الاثنان بمرح استلقت نظر السيدة كترين نفسها . أما مستر دارسى فسرعان ما اتجه بعينيه نحوها ونظر إليهما مراراً نظرة الدهشة . وأخيراً صاحت السيدة كترين قائلة : « أى شيء تقوله يا فتزوليم ؟ ما الذى تتحدث عنه ؟ ماذا تقول للآنسة بنت ؟ » .

فأجابها بقوله : « نحن نتحدث عن الموسيقى يا سيدتى » .
« عن الموسيقى ! إذاً فتحدثنا بصوت عال . يجب أن يكون لى نصيب فى الحديث إن كنتما تتحدثان عن الموسيقى . إنى أظن أنه قلما يوجد

في إنجلترا أناس أوتوا من الذوق الموسيقي الطبيعي ما أوتيت أنا ؛
ولو أنني علمت الموسيقى لكنت الآن من أبرع العازفات .
ثم سألتها عن قدرة چور چينا أخت دارسي على العزف ، فأخذ
يثنى على حذقها ثناء عاطرا من كل قلبه .

وواصلت السيدة المبجلة حديثها قائلة : « إن عليها ألا تنقطع
عن تدريب نفسها . لقد أخبرت الآنسة بنت عدة مرار أنها لن
تحسن العزف حقيقة إلا إذا زادت من تدريبها ، ومع أن مسز كلنز
لا تملك بيانا فإن في وسعها أن تأتي في كل يوم إلى روزنجس وتعزف
على البيان في حجرة مسز چنكنسن ، وأنت تعلم أنها لن تضايق
أحدًا في هذا الجزء من المنزل » .

وخجل مستر دارسي من سوء تربية خالته ولم يحرق جوابا .
ولما فرغوا من شرب القهوة ذكر الكولونل فتزوليم إلزبت
بأنها قد وعدته من قبل أن تعزف له ، فجلست من فورها إلى البيان ،
وسحب هو مقعداً إلى جوارها . واستمعت السيدة كثيرين إلى نصف
أغنية ثم أخذت تتحدث إلى ابن أختها الآخر حتى ابتعد عنها ، واتجه
نحو البيان ، وجلس بحيث يستطيع أن يرى وجه العازفة الجميل .
وشاهدت إلزبت ما كان يفعله ، فلما أمكنها أن تقف أول وقفة
التفتت إليه وهي تبتسم وقالت له :

« إنك تريد أن تخيفني بامستر دراسي بجميعك على هذا النحو كله
لستمع إلي . ولكنني لن أنزعج وإن كانت أختك تحسن العزف حقا »

فأجابها بقوله : « لن أقول إنك مخطئة ، لأنك لا يمكن أن تظني حقاً أني أقصد إزعاجك » .

وضحكت إليزبث وقالت للכולونل فتزوليم : « إن قريبك يعلمك ألا تصدق كلمة واحدة مما أقول . إن قوله هذا يغربني على أن أثار لنفسي .

فقال الكولونل فتزوليم : « أرجو أن تسمعيني ماذا تريد أن تهيم به » .

« ستستمع — ولكن تهياً لسماع شيء مروع جداً . إن أول مرة رأيته فيها كانت في حفلة رقص — وماذا تظن أنه فعل في هذه الحفلة ؟ إنه لم يرقص سوى أربع رقصات ، بالرغم من أن الرجال كانوا فيها قلائل ، وإني لأعلم أن أكثر من سيدة واحدة كن جالسات في انتظار من يراقصهن » .

« لم أكن قد تشرفت في ذلك الوقت بمعرفة أية سيدة في هذه الحفلة من غير الجماعة التي جئت معها » .

« هذا صحيح ، ولكن أليس في وسع أي إنسان أن يقدم إلى غيره في حجرة رقص ؟ »

فقال مستر دارسي : « ربما كان حكيمياً أصح مما كان لو أنني طلبت أن أعرف ، ولكني لست أهلاً لأن أقدم نفسي لمن لا أعرف »
وانجهد إليزبث إلى الكولونل فتزوليم وخاطبته بقولها : « وهل تسأل قريبك عن سبب هذا ؟ »

فأجابها بقوله : « إن في وسمى أن أجيبك عن سؤالك ؛ إن السبب هو أنه لا يريد أن يشغل نفسه بهذا الأمر » .

وقال دارسى : « لا شك في أنني لم أعط الموهبة التي أعطيت بمض الناس ، موهبة التحدث في يسر مع من لم أرهم قط من قبل » . وفي هذه اللحظة قطعت عليهم السيدة كثرين الحديث ، وقد جاءت لتعرف فيم كانوا يتحدثون . وعادت إلزبت إلى العزف من فورها ، واقتربت السيدة كثرين ، واستمعت إلى عزفها بضع دقائق ، ثم قالت لسر دارسى :

« إنها تحسن تحريك أصابعها ، وإن لم يكن ذوقها مساويا لذوق آن ؟ ولو أن صحة آن أمكنتها من تعلم العزف لكانت عازفة مطربة » .

ونظرت إلزبت إلى دارسى لتعرف إلى أي حد يوافق على قول خالته ، ولكنها لم يكن في وسمها أن تتبين ، لا في هذا الوقت ولا في غيره من الأوقات ، شيئاً من علامات الحب . وظلت السيدة كثرين تبدى ملاحظاتها عن عزف إلزبت حتى جاءت عربة هذه السيدة الجليلة لتقلهم جميعاً إلى المنزل .

الفصل السابع والعشرون

وبينا كانت إلزبت جالسة بمفردها في صباح اليوم الثاني تكتب إلى جين بعد أن خرج مستر كلنز ومارية إلى عمل في القرية ، إذ فوجئت بقرع على الباب ، وكان هذا إيذاناً مؤكداً بقدوم زائر . وما كان أشد دهشتها حين فتحت الباب ودخل إلى الحجرة مستر دارسي ، مستر دارسي وحده .

وظهرت عليه هو أيضاً الدهشة حين وجدها بمفردها ، واعتذر لها عن إقلاق راحتها بأن أفهمها أنه كان يعرف أن السيدات جميعهن كن في المنزل .

ثم جلسا ، وبعد أن فرغت من أسئلتها عمن في روزنجس لاح لها خطر انقطاع الحديث بينهما انقطاعاً تاماً . وكان حتماً مقضياً عليها إذن أن تتحدث في شيء ما ؛ وناقت نفسها إلى أن تعرف ما يقوله في موضوع ارتحالهم السريع فقالت له :

« ما أسرع ما غادرتكم كلكم نذرفيلد فجأة في شهر نوفمبر الماضي يا مستر دارسي ! ولعل مستر بنجلى وأختيه كانوا ينجبر حين غادرت لندن ؟ »

« لقد كانوا على أحسن حال ؛ وشكراً لك سؤالك عنهم » . ثم واصلت حديثها بعد صمت قليل :

« لقد فهمت أن مستر بنجلي لا يفكر كثيرا في العودة إلى
نذر فيلد في يوم من الأيام »

« أكبر الظن أنه لن يقضى هناك إلا قليلا من وقته في المستقبل »
« إذا لم يكن في عزمه أن يقضى إلا قليلا من الوقت في
نذر فيلد فإن من الخير لهذه الجهة أن يخلي البيت إخلاء تاما . ولعلنا
في هذه الحال نجد أسرة أخرى تستقر فيه »

وقال دارسي : « ولست أدهش إن باعه إذا عرض عليه ثمن
ملائم له »

وصمتت إليزبث فما أحارت جوابا ، فقد كانت تخشى أن تتحدث
أكثر مما تحدثت عن صديقه ، ولما لم يكن لديها شيء غير هذا
تقوله ، فقد اعترفت أن تترك له عناء إيجاد موضوع صالح للحديث «
وفهم هو ما تريد ، وبدأ حديثه من فوره : « يبدو أن مستر
كلنز كان موفقا في اختيار زوجة له ، ومامن شك في أنها قد سرها
أن تستقر على بعد قليل من أسرتها وأصدقائها »

« أقول على بعد قليل ؟ إن المسافة تقرب من خمسين ميلا ،
ولم يكن يسهني قط أن أقول إن مسر كلنز تقيم بالقرب من أسرتها »
« إن هذا دليل على تعلقك أنت بوطنك ، ويخيل إلى أن أي

مكان غير مجاور للنجبورن يبدو لك بعيدا »

ثم قرَّب مقعده منها وقال لها :

« لا يمكن أن يكون من حقك أن تتعلق بهذا التعلق الشديد بهذه الجهة ، ولا بد أنك لم تقيمي على الدوام في لنجبورن »
ونظرت إليه إلزبت في دهشة ، وشعر الرجل بتبدل في شعورها فابتعد عنها بكرسيه ، وأخذ صحيفة من فوق المنضدة ونظر إلى إلزبت من فوقها ، وقال بصوت أهدأ من ذي قبل :
« أنت مسرورة من كنت ؟ »

وتلى ذلك حديث قصير عن الريف ، سرعان ما قطعه دخول شارلوت وأختها ، وقد عادتا توأ من نزهتهما .

ولم يكد دارسى يخرج من الحجرة حتى قالت شارلوت : « ماذا عسى أن يكون معنى هذا ؟ ما من شك يا عزيزتى إلزا في أنه قد أحبك ، وإلا لما جاء لزيارتنا بهذه الطريقة الخالية من الكلفة »

فلما حدثتها إلزبت عن صمته بدا أن ذلك لم يكن أمرا كبيرا الاحتمال ، ولم يكن يسعهما آخر الأمر إلا أن تفترضا أن الباعث على زيارته لم يكن إلا أنه لم يجد ما يشغله في هذا الوقت من السنة . ولما كان الرجال لا يستطيعون أن يظلوا على الدوام في داخل البيوت ، ولما كان بيت القسيس قريبا منهما ، فقد أغرى هذا القرب تينك الفتاتين من هذا الوقت على أن تسيرا إليه مشياً على أقدامهما في كل يوم تقريبا منفردتين تارة ومجتمعتين تارة أخرى . واتضح أن الكولونل فتزوليم كان يأتي هناك لأنه يسره أن يجتمع بهما ، أما مستر دارسى

فلم يكن في وسعه أن يأتي لهذا السبب عينه ، فقد كان كثيراً ما
يجلس هناك عشر دقائق كاملة دون أن يفتح فاه بكلمة واحدة .
ولم تدر مسز كلنز كيف تفسر هذا الصمت ، فقد كان هو من غير
شك يطيل النظر إلى إلزبت ، وقد أشارت إلى صديقتها مرة أو مرتين
بأنه لا يبعد أن يكون مهتماً بها ، ولكن إلزبت كانت على الدوام
تضحك من هذه الفكرة .

الفصل الثامن والعشرون

والتقت إلزبت بمستر دارسى فجأة أكثر من مرة وهى تتنزه على مهل كل يوم فى بستان روزنجس ، حيث كان يسمح لها هى وغيرها من السيدات أن يتنزهن . وأرادت أن تتحاشى تكرار هذا اللقاء فحرصت على أن تجربته فى أول مرة أن البستان من الأماكن التى يسرها أن تتردد عليها . فلما أن حدث هذا اللقاء مرة أخرى كان حدوته غاية فى العجب ! لكنه مع ذلك حدث مرة ثانية بل وثالثة . ورأى هو فعلا أن لا بد له من أن يغير اتجاهه ويستير معها . ولم يتحدث إليها فى هذا اللقاء كثيراً ، ولم تره هى أن تشغل نفسها بكثرة الحديث معه أو الإصغاء إليه .

وكانت وهى تتمشى فى البستان فى أحد الأيام مشغولة بقراءة آخر خطاب ورد إليها من جين ، وكانت تقرأه للمرة الثانية . وبينما هى كذلك إذ رفعت عينها عن الخطاب فوجدت الكولونل فتروليم مقبلاً نحوها بدل أن تجد مستر دارسى يفاجئها بلقائها مرة أخرى ؛ فلما التقيا سارا إلى بيت القسيس معاً .

وسأله : « أتفادر كنت بالتأكيد يوم الثلاثاء ؟ » .

« نعم إلا إذا أجل ذلك دارسى مرة أخرى ، فهو ينظم عملنا كما يهوى ، وأنا منضم إليه فى الوصاية على الآنسة دارسى » .

« أحق ذلك ؟ قل لى من فضلك هل يكلفك هملك هذا عناء كبيراً ؟ إن من كن فى منها من الفتيات يصعب أحياناً الإشراف عليهن » .

وشاهدت وهى تحدته أنه ينظر إليها نظرة فاحصة ، وأيقنت من حالته أنها قد اقتربت بطريقة ما من الحقيقة ، ثم أجابت من فورها : « لا حاجة لك بأن تنزعج . إنى لم أسمع قط شيئاً يسيء إليها ، وهى محببة جداً إلى بعض من أعزف من السيدات ، إلى مسز هرست وإلى الآنسة بنجلى ، وأظنك تعرفهما » .

« إن لى بهما معرفة قليلة ، فأخوها صديق صدوق لدارسى » .
وقالت إلزبت بسرعة : « نعم ؛ إن مستر دارسى يحنو كثيراً على مستر بنجلى ويعنى به أعظم عناية » .

« يعنى به ! نعم ، إنى أعتقد حقاً أن دارسى يعنى به . وفى وسمى أن أسلنتج من بعض ما قاله لى الأسباب التى تحملنى على الظن بأن بنجلى مدين له بالشىء الكثير » .

« ماذا تقصد بهذا القول ؟ » .

« إنها من المسائل التى لا يرغب دارسى بطبيعة الحال أن يعرفها الناس بصفة عامة ، لأنها إن وصل علمها إلى أسرة الفتاة ، كان هذا أمراً غير مستحب » .

« ثنى أننى لن أذكره » .

« لم يقل لى شيئاً غير هذا : إنه يهنى نفسه بأنه من وقت قريب

قد أنقذ صديقاً له من متاعب زواج هم أن يقدم عليه من غير تبصر ،
ولكنه لم يذكر لي أسماء أو تفاصيل .

« وهل أفضى إليك مستر دارسى بالأسباب التي حملته على
هذا التدخل ؟ » .

« لقد فهمت أن لديه اعتراضات قوية على الزواج بهذه السيدة »
ومشت إلزبت وقلبها مفعم بالغضب ، ولم تكن تريد أن تعرف
أكثر مما عرفت عن هذا الأمر ، ولذلك بدلت موضوع الحديث
بسرعة ، فأخذت تتحدث عن مسائل أخرى حتى اقتربا من دار
القس . وهناك أغلقت حجرتها على نفسها ساعة أن غادر الزائر الدار ،
وكان في وسعها أن تفكر في كل ما سمعته دون أن يقطع عليها أحد
هذا التفكير . إنها لم تكن تشك في يوم من الأيام أن مستر دارسى
كانت له يد في التفرقة بين مستر بنجلي وچين ؛ ولكنها كانت على
الدوام تلقى معظم التبعة في هذا الفراق على الأنسة بنجلي . بيد أنه
كان هو السبب — كان كبرياؤه هو السبب — في كل ما قامته
چين . لقد أضاع على هذا القلب الذي هو أكرم القلوب في العالم
وأكثرها حباً كل أمل في السعادة .

« إن لديه اعتراضات قوية على الزواج بهذه السيدة » . هذه هي
ألفاظ الكولونل فتزوليم ، وهذه الاعتراضات هي أن لها خلا محامياً
وآخر من رجال الأعمال في لندن .

وصاحت قائلة : « أما چين نفسها فلا يمكن أن يكون عليها

اعتراض ما ، فهي الجمال والطيبة بأكل معانيهما ، وهي في منتهى الذكاء ،
ذات عقل مثقف وطباع جذابة . وليس ثمة شيء يمكن أن يؤخذ
على والدي ، فإن له من المواهب ما لا يستطيع المستردارسي أن يزدرية .
إلا أنها لما أخذت تفكر في أمها ضعفت ثقتها بأسرتها بعض الشيء .
وكان من أثر انفعالها ودموعها أن أصابها الصداع ، وزاد
صداعها شدة قرب المساء حتى منعها هو وعدم رغبتها في رؤية مستر
دارسي أن تصحب أقاربها إلى روزنجس حيث دعوا لتناول الشاي .
ورأت مستر كلنز أنها متوقعة حقا ، فلم تلح عليها بالذهاب ،
وحاولت بقدر ما تستطيع أن تمنع زوجها أن يلح عليها ، ولكن
مستر كلنز لم يستطع أن يخفي خوفه من استيلاء السيدة كترين من
بقاء إلزبت في البيت .

الفصل التاسع والعشرون

ولما غادرت الأسرة الدار رأت إلزبت أن تشغل نفسها بفحص جميع الرسائل التي كتبتها إليها جين مذ وصلت إلى كنت ، وكأنا أرادت بذلك أن تزيد غضبها على مستر دارسى حدة على حدته بأكثر ما تستطيع . ولم يكن في هذه الرسائل شكوى حقيقية ، ولكنها وجدت أن كل واحدة منها ، وأن كل سطر من سطورها تقريبا ، يعوزه ذلك المرح الذي كان أسلوبها يمتاز به عادة . وزاد من شعور إلزبت بالآلام أختها تبجح مستر دارسى المخجل بما استطاع أن يسببه لها من آلام .

وفي هذه اللحظة انتهت فجأة على رنين جرس الباب ؛ وما كان أشد دهشتها حين رأت مستر دارسى يدخل حجرتها ويسألها من فوره عن صحتها بلهجة سريعة . وردت عليه بأدب فاتر ، وجلس بضعة دقائق ، ثم نهض وأخذ يمشي في الحجرة . ودهشت إلزبت من هذا ولكنها لم تنطق بكلمة واحدة ، وبعد صمت دام عدة دقائق أقبل عليها وهو مضطرب ، وبدأ حديثه بقوله :

« لقد حاولتُ عبثا ؛ إن هذا لا يمكن أن يكون ؛ إن عواطفى لا يمكن التغلب عليها ؛ يجب أن تسمعنى لى بأن أفضى إليك بمعظم إعجابى بك وحبى إياك » .

وكانت دهشة إلزبت أعظم من أن تعبر عنها الألفاظ ، فحدثت فيه بناظرها ، وامتنع وجهها ، وارتابت فيما سمعت ، وصمتت . وعد ذلك منها تشجيعا كافيا له فأتبع حديثه السابق على الفور بالإفشاء إليها بكل ما يشعر به نحوها ، وأحسن التعبير عن قصده ، ولكن كان ثمة عواطف غير عواطف القلب يجب التعبير عنها مفصلة ؛ ولم تكن ألفاظه التي عبر بها عن كبريائه بأفصح من التي عبر بها عن عواطفه . لقد عبر لها عن شعوره بالمحطاط منزلتها ، وبأن زواجه بها ينزل من قدره ، وأكد ذلك بحماسة يتعذر معها أن يوفق في خطبته . ولم يكن في وسعها رغم كرهها المتأصل في نفسها له أن تدرك ما في حب هذا الرجل إياها من تقدير عظيم لها ؛ ومع أن ذلك لم يثنها عن قصدها لحظة واحدة فإنها قد أحزنها في بادئ الأمر ما سيصيبه من ألم ، حتى أثارها إحساسها بما في عباراته من إهانة لها ، فلم يترك لها غضبها أية رافة به . على أنها حاولت أن تملك شعورها ، وأن ترد عليه رداً هادئاً حين يفرغ من أقواله . وختم حديثه بقوله إنه يرجو أن تجزيه الآن بقبول زواجه بها . ولم يكن يصعب عليها أن تدرك ، وهو يقول هذا ، أنه لا يشك في أنه سيتلقى منها الجواب الذي يحبه ؛ وكل ما كان لهذا الطرف من أثر أنه زاد في غضبها ، فلما أتم حديثه أحرمت وجنتاها وقالت له :

« لو أنني كان في مقدوري أن أشعر بأن لك على يد لشكرتها لك الآن — إني لم أرغب قط في ثنائك عليّ ، وما من شك في أنك

قد نطقت بهذا الثناء وأنت كاره أشد الكره ، وإن الأسباب التي تقول لي إنها طالما منعتك أن تعبر لي عن عواطفك لا يصعب عليها أن تغلب على هذه العواطف بعد هذا الإيضاح .

وأحدثت عينا مستر دارسى في وجهها ، وبدا وكأنه قد تملكه من الغضب بقدر ما تملكه من الدهشة ، وامتقع وجهه ، وظهر اضطرابه على كل جراحة من جوارحه ، ثم قال لها آخر الأمر بصوت أرغم نفسه على أن يهدئه :

« أهذا كل ما يشرفني أن أنتظره من جواب ؟ وقد يكون لي أن أطلب أن تخبريني عن أسباب رفضك إياي على هذا النحو الذي لم تحاول فيه شيئا من المجاملة . »

وأجابته بقولها : « وقد يكون لي أنا أيضا أن أسألك لم اخترت أن تخبرني بأذك تحبني رغم إرادتك ، وأن تقصد أن تهينني قصداً جليلاً لا خفاء فيه ؟ ألم يكن في هذا بعض العذر عن سوء الأدب ، إذا كنت في ردى عليك غير مؤدبة ؟ على أن لدى أسباباً أخرى . هل تظن أن ثمة اعتباراً أيا كان شأنه يغريني بأن أقبل الرجل الذي كان هو السبب في القضاء على سعادة أخت لي ، أحبها حباً لا يفوقه حب سواه ، ولربما كان هذا القضاء قضاء أبدياً ؟ »

وما أن نطقت بهذه الألفاظ حتى امتقع وجهه مستر دارسى ، ولكنه استمع إليها وهي تواصل حديثها دون أن يقاطعها :

« لا شيء مطلقاً يمكن أن يكفر عن هذا العمل غير الكريم

الذى عملته هناك ؛ إنك لا يسمعك أن تنكر أنك كنت السبب
الأكبر ، إن لم تكن السبب الوحيد ، فى التفرقة بين الاثنين .
ثم سككت ورأت أنه يصنى إليها وهيته تدل على أنه لم يخالجه
قط شعور بالندم على ما فعل .

فأعادت عليه قولها : « هل تنكر أنك فعلت هذا ؟ » .
فأجابها بهدوء : « لست أرغب فى أن أنكر أنى فعلت كل
ما أستطيع لأفرق بين صديق وأختك ، أو أنى مغتبط بما وفقت
إليه من نجاح . ولقد كنت أكثر شفقة عليه منى على نفسه » .
ولم يظهر على لآزبت أنها لاحظت هذه الإشارة إشارة الأدب
والمجاملة ، ولكنها لم يفهم مغزاها ، ولم يهدى هذا المغزى من
شعورها .

وواصلت حديثها قائلة : « وليست هذه هى المسألة الوحيدة التى
أكرهك من أجلها ، فقد تكشفت لى أخلاقك قبل ذلك بزمن
بعيد فى القصة التى سمعتها من مستر وكهام من شهور كثيرة » .
وقال لها دارسى بصوت أكثر اضطرابا ، وبوجه أكثر احمرارا
من ذى قبل : « إنك تهتمين اهتماما كبيرا بشئون هذا السيد » .
« ومنذا الذى يعرف آلامه ، ولا تضطره هذا الآلام إلى
الاهتمام بشأه ؟ » .

وأعاد دارسى بازدراء قولها « آلامه » ، ثم أضاف إلى ذلك :
« نعم ، لقد كانت آلامه شديدة حقا » .

وصاحت إثر بث بحدة : « وكانت من صنعك ، لقد أوصلته أنت
إلى حالة الفقر التي هو عليها الآن » .

وصاح دارسى وهو يتنقل بخطاً سريعة في الحجرة : « وهذا
هو رأيك في . وإني أشكر لك شرحك الوافي لهذا الرأي » . ثم وقف
والتفت إليها وأضاف إلى قوله السابق : « ولكن لعل هذه الإساءات
كانت تنسى ، لو لم يؤلم كبرياءك اعترافى الصريح بالأسباب التي
حملتني على ترددى الطويل في خطبتك . ولست أخجل من العواطف
التي أفضيت بها إليك ، فقد كانت عواطف طبيعية وعادلة . وهل
كنت تتظن منى أن أغتبط بانحطاط منزلة أسرتك ؟ » .

وأحست إثر بث بأن غضبها يزداد في كل لحظة ، ولكنها مع
ذلك حاولت أن تتكلم بهدوء وقالت :

« لم يكن في وسعك أن تعرض على زواجك بي بوسيلة تغريبي
بقبول هذا العرض » .

وظلت دهشته بعد هذا القول واضحة كما كانت . ثم واصلت
حديثها قائلة :

« لقد انطبع في نفسى من بادى الأمر اعتقاد قوى بكبريائك
وأنايتك ، ولم يكدمضى شهر واحد على تعارفنا حتى أحسست
بأنك آخر رجل في العالم يستطيع أحد أن يقنعني بزواجه » .

« حسبك ما قلته ياسيدتى ، وأرجو المذرة عما شغلته من
وقتك ، وقبول أطيب تمنياتي لك بالصحة والهناء » .

قال هذه العبارات ثم بادر إلى الخروج من الحجرة .
وكان ما استولى على عقل الزبث من الاضطراب قد بلغ غايته
وسبب لها شديد الألم ، واستولى عليها ضعف شديد أرغمها على
الجلوس والبكاء نصف ساعة . وزادت دهشتها في كل لحظة .
أدهشها أن يعرض عليها مستر دارسى الزواج بها ، وأدهشها أن
يصل حبه إياها حداً يرغب معه في الزواج بها رغم كل الاعتراضات
التي حملته على أن يمنع صديقه أن يتزوج بأختها ، وهي اعتراضات
لا يمكن أن تفقد شيئاً من قوتها في حاله هو أيضاً ! وأدهشها
كبرياؤه المخجل واعترافه دون حياء بما كان له من يد في أمر
چين ! وأدهشها أيضاً مسلكه المجرد من الإحساس وقسوته على
مستر وكهام .

وظلت تقلب في عقلها هذه الآراء المقلقة حتى وصلت إليها
أصوات العائدين من روزنجس فأسرعت إلى حجرتها .

الفصل الثلاثون

واستيقظت إثر بث في صباح الغد وهي تفكر في هذا الموضوع نفسه . ذلك أنها لم يكن في وسعها أن تركز عقلها في موضوع سواه ؛ ولذلك اعتزمت عقب الإفطار بزمـن قليل أن تخرج إلى الزهرة والرياضة . وبينما هي تتجه رأساً إلى طريقها المحبوب تذكرت أن مستر دارسي يأتي إلى ذلك المكان أحياناً ، فوقفت لساعتها ، واتجهت إلى الطريق الضيق خارج البستان .

وبعد هنيهة لمحت رجلاً في داخل البستان ؛ وكانت قد غيرت طريقها مبتعدة عنه ولكنها حين سمعت صوتاً يناديها اتجهت نحو بابه ، وإن كان قد تبين لها أن هذا الصوت هو صوت مستر دارسي . وكان هو أيضاً في الوقت عينه قد وصل إلى الباب ، فلما تقابلا أخرج خطاباً وقال لها في هدوء وكبرياء : « هل تفضلين على بقراءة هذا » : ثم انحنى إليها انحناء صغيرة ، وأدار ظهره إليها ، ولم يلبث أن اختفى عن ناظرها .

وفضت إثر بث الخطاب وهي مندهشة أعظم دهشة ، فأبصرت ورقتين مكتوبتين بخط صغير . وكان الخطاب مؤرخاً من روزنجس في الساعة الثامنة صباحاً وهذا نصه :

« لانتزعني ياسيدتي حين تتسلمين هذه الرسالة ؛ فقد كتبته

واليس من قصدى أن أولئك أو أن أذل نفسى بالإشارة من غير داع
إلى ما حدث بيننا فى الليلة الماضية . ولكن سمعتى تتطلب أن تُسكتب
هذه الرسالة وتُقرأ . وأرجو منك أن تعيرها التفاتك إنصافاً لى !
« لقد وجهت إلى فى الليلة الماضية تهمتين مختلفتين ، أولاًها
أنى قد فرقت بين مستر بنجلى وأختك ، والثانية أنى خيبت آمال
مستر وكهام . ومن واجبي الآن أن أشرح لك هذين الأمرين .

« لم يمض على فى هرتفوردشير غير قليل من الوقت حتى رأيت
أن مستر بنجلى يفضل أختك الكبرى عن كل فتاة فى ذلك المكان ؛
ولم أعر هذا الأمر عناية جدية لأنى كثيراً ما رأيت به يحب غيرها من
قبل . فلما اجتمعنا فى الحفلة الراقصة فى نذر فيلد ، حيث كان لى شرف
مراقبتك ، علمت لأول مرة ، من خبر ألقاه إلى سير وليم لوكاس
بطريق الصدفة ، أن الالتفات الذى يوجهه مستر بنجلى إلى أختك
قد جعل الناس يتوقعون اقترانه بها . وأخذت من هذه اللحظة
أراقب صديقى عن كثب ، ورأيت أن حبه للآنسة بنت كان أقوى
مما شاهدته من قبل فيه . وراقبت أختك أيضاً ، وكان مظهرها
وخلقها يمان عن صراحة ومرح وجاذبية هى التى عهدتها فيها من قبل ؛
ولكنى لم أر شاهداً ما على عاطفة قوية نحوه . فإذا لم تكونى أنت
مخطئة هنا ، فلا بد أن أكون أنا المخطئ ، وإن معرفتك بأختك
التي تفوق معرفتى بها لتجعل رأى الثانى مرجحاً .

« ولم تكن كل اعتراضاتى على زواجهما هى وحدها التى ذكرتها لك فى الليلة الماضية حين كنت أشرح موقفى ، بل كانت هناك اعتراضات أخرى . ذلك أن مركز أسرة والدتك ، وإن كان مركزاً بغيضاً ، لا يعد شيئاً مذكوراً إذا قيس إلى ما تظهره هى نفسها من سوء التربية ، وما تظهره أخواتك الثلاث الصغار ، وما يظهره والدك من ذلك فى بعض الأحيان . وأرجو المَعذرة عن هذا القول فإنى ليؤلمنى حقاً أن أسئ إليك . ولكن الذى يعزبك عن هذا أن تعلمى أن سلوكك أنت وأختك رغم وجودكما فى هذا الوسط كان سلوكاً مبرراً من هذه العيوب ، وهو سلوك يشرفكما جميعاً .

« ونارت مخاوف أخوات بنجلى بقدر ما نارت مخاوى ، وأنت تعرفين السبيل التى سلكناها ، ولكنى لا أظن أن هذه الخطأ كانت تكفى لمنع الزواج ، لو لم أؤكد لبنجلى أن أختك لا تعنى به . ولما كان هو رجلاً شديد التواضع بطبيعته فقد كان من السهل عليه أن يصدق أنه قد خدع نفسه .

« وليس فى وسعى أن ألوم نفسى على أنى فعلت هذا الفعل ، وليس ثمة إلا نقطة واحدة لا أرتاح حين أفكر فيها ، تلك هى أنى نعمدت خديعة بأن أخفيت عنه أن أختك فى لندن .

« أما الهممة الأخرى وهى أنى أسأت إلى مستر وكهام فكل ما أستطيع أن أدفعها به هو أن أقص عليك القصة كلها . لقد كان مستر وكهام ابن وكيل ضيعتى ، وكان أبوه هذا رجلاً جديراً

بالاحترام . وقد عني والدي بتعليم ابنه ، وكان يرجو أن يتولى منصباً في الكنيسة ، ولهذا أراد أن يرصد له ما يلزمه من المال في هذا المنصب . وكنت أنا شاباً في نفس سنه تقريباً ، فأدركت من البداية سوء خلقه ، وكان يعني بإخفائه عن والدي . وقبل أن يتوفى أبي أوصاني بأن أعمل على رقيه ، وأن أرتب له معاشاً يقوم بأود أسرته إذا ما انحرف في سلك رجال الدين . ولكن مستر وكهام كتب بعد وفاته بزمان قليل يقول إنه قرر ألا يكون من رجال الدين ، وإنه يرغب بدلاً من هذا أن يدرس القانون . وطلب إليّ من المال ما يعينه على الوصول إلى غرضه . وأعطيته هذا المال عن رضا وطيب خاطر ، لعلمي أنه لا يصلح لأن يكون قسيساً . وعلى هذا فإنه يكون قد نحى عن كل حق له في أن يعان على الدخول في حظيرة الكنيسة » ثم خلا منصب قسيس المقاطعة فيما بعد ؛ ولما كان قد أھمل دراسة القانون وعاش عيشة البطالة ، فقد طالب بهذا المنصب ، ولكنني رفضت طلبه .

« وفي الصيف الماضي عاد إلى إقحام نفسه في وجهي بطريقة أالمتني أشد الألم . ولا بد لي هنا أن أفضي إليك بسر من أسرار الأسرة . ذلك أن أختي كانت قد تركت المدرسة في هذا الوقت ذاته ، وعهد إلى سيدة في رمزييت أن تعني بها . وتبين أنني كنت مخطئاً في ثقتي بهذه السيدة ، فقد سمحت إلى وكهام أن يغازل أختي ، واتفقت هذه على أن تفر معه . وذهبت أنا لزيارتها قبل

الوقت المتفق عليه لهذا الفرار واستجحت جورچينا من نفسها ،
واعترفت لي بكل شيء . وفي وسعك أن تتصورى ما شعرت به
وقتئذ وما عملته .

« وكان أكبر ما يسعى له مستر وكهام من غير شك هو ثروة
أختي ، وهي ثروة تبلغ ثلاثين ألف جنيه ، ولكنى لا يسعنى إلا أن
أفترض أيضاً أنه كان يرجو بذلك أن يفتقم لنفسه منى .

« ويشهد الكولونل فتروليم بصديق كل ما قصصته هنا ؛
وسأحاول أن أجد فرصة تمكنتى من أن أضع هذا الخطاب بين يديك
في الصباح ؛ وليس لدى ما أضيفه إلا أن أدعو الله أن يبارك فيك
فتروليم دارسى

الفصل الحادى والثلاثون

وجاشت نفس إلزبت بجميع أنواع العواطف وهى تقرأ الرسالة باهتمام كبير . وكان أول ما أحست به هو الامتعاض منها ، ومالت إلى عدم تصديق شىء مما حوته ، وصاحت قائلة : « لا بد أن يكون هذا كذباً ! إن هذا لا يمكن أن يكون ! » ولما أتمت قراءة الرسالة كلها أخفها من فورها ، وقالت إنها لن تنظر فيها مرة أخرى .

ولكن هذا لم يكن ، فلم تكد تنقضى نصف دقيقة حتى فتحت الرسالة من جديد ، وقرأت ما فيها من التفاصيل الخاصة بوكهام مرة بعد مرة بمنتهى العناية . إن أحد الرجلين اللذين تتحدث عنهما كان بريئاً من الذنب ، وأما الآخر فقد بلغ من الفذالة ما يجعله جديراً بما هو أقل من الازدراء ؛ ترى أيهما هذا وأيهما ذاك ؟ وحاولت أن تذكر شاهداً واحداً على طيبة وكهام ، ولكنها لم تجد . لقد كان يسر من رآه بحسن مظهره وصوته وآدابه ، أما أخلاقه الحققة فلم تكن تعرف عنها شيئاً ، وقد تأكدت بعض التأكد من قصة محادثته مع الآنسة دارسى فى صباح أمس فقط ، وكان ذلك فى خلال حديث لها مع الكولونل فتر ولیم ، وهو الذى طلب إليها أن ترجع إليه لتعرف منه جميع التفاصيل .

وكانت تذكر بوضوح تام كل ما دار بينها وبين وكهام من

حديث في أثناء السهرة الأولى بمنزل مستر فليس . وكان كثير من عباراته لا يزال عالقاً بذاكرتها . وأدهشها في هذه اللحظة ما ينطوى عليه إفضاؤه بهذه المعلومات إلى شخص غريب عن الأسرة من عدم الذوق ، وعجبت كيف غاب ذلك عنها قبل الآن . ورأت كذلك ما تنطوى عليه الطريقة التي أقحم بها نفسه من سوء التربية ، وذكرت أنه كان يفخر بأنه لا يخشى أن يرى مستر داوسى ، ولكنه مع ذلك امتنع عن حضور حفلة الرقص التي أقيمت في نذرفيلد في الأسبوع الثانى نفسه ، وذكرت كذلك أنه لم يقص قصته على أحد غيرها إلا بعد أن انتقلت أسرة نذرفيلد إلى الريف ، فكان بعد انتقالها يقصها بصراحة ، مع أنه قد أكد لها من قبل أن إجلاله للأب يمنعه دائماً أن يفصح أمر الابن . وغلبها الخجل الشديد من نفسها ، وشعرت بأنها كانت عمياء متحاملة سخيفة .

وقرأت مرة أخرى جزء الرسالة الخاص بـجين ، ولم يسمعها أن تنكر عدالة ما وصف به أختها ، وأحسّت بأن جين وإن كانت عواطفها قوية ، لم تفصح عنها إلا قليلاً جداً .

ولما وصلت إلى ذلك الجزء الذى ذكرت فيه أسرتها بعبارات الذم المذلة ، وإن كانت هذه الأسرة جديرة بها ، تملكها شعور من الخجل شديد . ولم يكن ليفوتها أن تشعر بالثناء الذى وجهه إليها وإلى أختها ، ولكنه مع ذلك لم يرح بالها ؛ ولما فكرت في أن ما أصاب جين من خيبة في آمالها كان في واقع الأمر من ممتع أقرب الناس

إليها ، شعرت بكآبة تفوق ما شعرت به في أى يوم من أيامها الماضية .
وأوشكت الآن أن تحفظ ما في الخطاب عن ظهر قلب . لقد
درست كل جملة فيه ، وكان شعورها نحو كاتبه يختلف كل الاختلاف
بين لحظة ولحظة ، فإذا ذكرت أسلوبه الذى خاطبها به امتلأ قلبها
غضبا عليه ، ولكنها إذا فكرت فيما كان في حملتها عليه من ظلم له
ارتد غضبها إليها هى ، وأصبحت خبيثته في عواطفه موضع الأسى .
وأنار تعلقه بها شكرها له كما أنارت أخلاقه بوجه عام لإجلالها إياه ،
ولكنها لم يكن في مقدورها أن توافق على خطبته ، أو تندم على
رفضها له ، أو تشعر بأقل ميل من جانبها لرؤية بعد اليوم . وكانت
تجد سلوكها الماضى مصدر ألم دائم لها ، وتجد في عيوب أسرتها
ما يحزنها ويضرم قلبها ، وذلك أنها لم تكن من العيوب التى
يمكن علاجها .

فأما أبوها فلم يكن يكلف نفسه في يوم من الأيام عناء السيطرة على
حق أختيهما الصغيرتين ، بل كان يقنع بالسخرية منهما ؛ وأما والدتها
فكانت أخلاقها أبعد ما تكون عن الأخلاق الحميدة ، ولهذا لم تكن
تعرف قط ما في أخلاق بناتها من عيوب ، وكثيراً ما انضمت إلزبت
إلى چین وحاولتا أن تكبجا ما في طباع كترين وليديا من غباء وعدم
فطنة ، ولكن كيف السبيل إلى إصلاح شأنهما وهذه أمهما تشجعهما
بتهاونها ، وهذه كترين الضعيفة النفس ، العصبية المزاج ، المستسلمة

كل الاستسلام لقيادة ليديا ، يسوؤها أن تسديا إليها النصح ؛ وهذه ليديا العنيدة المهملة لا تكاد تقبل أن تستمع إليهما ؟ لقد كانت هاتان الفتاتان جاهلتين ، متمطلتين ، مغرورتين ؛ وما دام في مريتين ضابط فأنهما لا تنفكان تعملان على استلفات نظره ، وما دامت مريتين يمكن الوصول إليها من لتجيبورن سيرا على الأقدام ، فأنهما لا تنقطعان عن الذهاب إليها في كل يوم .

وكان اهتمامها بأمر چين مما يشغل أيضا بالها ، وقد زاد إحساسها بخاسرته هذه الفتاة بعد ذلك الإيضاح الذي استمعت إليه من مستر دارسى ، والذي أعاد إليها حسن ظنها ببنجلى .

وليس يصعب على الإنسان أن يعتقد أن روح إلزبت المرحبة بطبيعتها قد تأثرت إلى حد كاد يجعل من المستحيل عليها أن تظهر ولو قليلا من البهجة ؛ وأخذت تترقب وهي واضية قرب انتهاء زيارتها إلى هنزفورد في الأسبوع التالى ؛ وكان مستر دارسى قد غادر المكان بعد وقت قليل من إعطائها الخطاب .

وأخيرا حزمت الحقائق واختتمت عبارات الوداع ، ولم تكن تموزها خطبة طويلة من مستر كلنز ، وسارت العربة إلى لندن حيث تقرر أن تصحب چين بقية الجماعة إلى بيتها .

وقالت مارية بعد صمت دام بضع دقائق : « رحماك اللهم ، يبدو

لنا كأنه لم يحض على قدومنا إلا يوم أو يومان ! ومع ذلك فما أكثر ما حدث في هذه الفترة ! » .

وقالت صاحبتهما وهي تتهدد : « لقد حدث الشيء الكثير حقا » .
« لقد تعشينا تسع مرات في روزنجس ، وشربنا الشاي مرتين وما أكثر ما سأحدث عنه ؟ » .

وأضافت إلزبت إلى ذلك في نفسها : « وما أكثر ما سأضطر أنا إلى إخفائه ! »

الفصل الثاني والثلاثون

وكان الأسبوع الذي خرجت فيه الفتيات الثلاث لينذهبن معا إلى هرتفورد شير هو الأسبوع الثاني من شهر مايو . ولما اقتربن من النزل الذي اتفق أن تقابلهن عنده عربة مستر بنت أبصرن بسرعة كتي وليديا تطلان من نافذة غرفة الطعام في الطابق الأعلى ؛ وكان ذلك شاهدا على أن السائق قد وصل في الموعد المحدد له . وكانت الفتاتان قد أقامتا في هذا المكان أكثر من نصف ساعة قضتاها كلها في مرح وسرور ، بعضها في زيارة حانوت للقبعات ، وبعضها في النظر إلى الضباط القائمين بالحراسة ، وبعضها الآخر في إعداد نابل الطعام

وبعد أن حيت الفتاتان أختهما أشارتا بإشارة الظفر إلى مائدة أعدت عليها اللحوم الباردة وصاحتا : « أليست هذه مفاجأة سارة ؟ » وأضافت ليديا إلى ذلك قولها : « ونحن نعتزم أن نضيّفكن جميعاً ، ولكن يجب عليكم أن تقرضنا المال لأننا أنفقنا ما عندنا منه في ذلك الحانوت من وقت قصير » . ثم أظهرت ما ابتاعته وقالت : « انظرن إلى هذه الأشياء ، لقد ابتعت هذه القبعة ، ولست أظن أنها جميلة جداً ، ولكنني رأيت أن شرائها وعدم شرائها سيان ، سأفصل أجزاءها بعضها من بعض ساعة أصل إلى البيت ثم أعيد منها من جديد »

ولما عابتها أختها وقالت إنها قبيحة واصلت حديثها قائلة : « إن الإنسان لا يهتم ما يلبسه في هذا الصيف ، لأن الفرقة العسكرية سترحل عن مريت في خلال أسبوعين »

وصاحت إلزبت في غبطة عظيمة : « أتفادها حقاً ؟ »

« إنها ذاهبة لتعسكر بالقرب من مريت ، وإلى لشديدة الرغبة في أن يأخذنا والدنا جميعاً لنقضى الصيف هناك ! وأحب الأشياء إلى أمنا أن تذهب هي أيضاً ! »

وقالت إلزبت في نفسها : « نعم ، إن ذلك إذا حدث ليعت في النفس السرور حقاً . ألا ما أعظم هذا ! أنكون نحن في مريت حيث يوجد معسكر غاص بالجند ، بعد أن أفسد علينا أمرنا فرقة صغيرة ، والرقص في مريت كل شهر ؟ »

وقالت ليديا بعد أن جلسن إلى المائدة : « والآن إن عندي لـكن أخباراً ؟ إنها أخبار طيبة جداً عن شخص نحبه جميعاً »

ونظرت حين وإلزبت كلتاها إلى الأخرى ، وقيل للخادم أن لا موجب لبقائه ، وضحكت ليديا وقالت :

« إن هذا يتفق بالضبط وفطنتك ومحافظتك على الأصول المرعية . لقد ظننت أن الخادم يجب ألا يسمع ما سأقول ، كأنه يهمله أن يسمعه ! ولكنه إنسان قبيح بشع ، ويسرني أن قد ذهب ، والآن إليكما ما عندي من الأخبار ، إنها أخبار عن عزيزنا وكهام . لاخوف من أن يتزوج ميرى كنج ، فقد غادرت السكان ، ونجاو وكهام »

وأضافت إلزبت : « ونجت ميرى كنج ! نجت من زواج ليس فيه شيء من التبصر من ناحية الثروة »
وبعد أن فرغ الجميع من تناول الطعام وأدت الفتاتان الكبيرتان الثمن ، جىء بالعربة ، وجلسن فيها جميعاً ، بعد أن قاسين فى ذلك بعض الصعوبة ، ومعهن صناديقهن ، وأكياس شغلهن ، وطرودهن ، وما ابتاعته كتى وليديا ، وهو ما لم ترحب الجماعة بأخذه معها .

وصاحت ليديا : « لقد حُشَرنا فى العربة حشراً ما أحسنه ! والآن فلنستريح ونحدث ونضحك طول الطريق حتى نصل إلى المنزل ، ولنسمع أول الأمر ما حدث لكما جميعاً منذ سافرتما . هل رأيتما رجالا حسانا ؟ لقد كنت عظيمة الرجاء فى أن تحصل إحداكما على زوج لها قبل أن تعود إلينا ، إني لأُصرح لكما بأن حين ستصبح عما قريب عانسا ، لقد كادت تبلغ الثالثة والعشرين من العمر ، وإذا لم أتزوج أنا قبل أن أبلغ هذه السن استحييت من نفسى ! أى والله ! ما أشد رغبتى فى أن أتزوج قبل أن تتزوج واحدة منكن ! »

وبهذه الطريقة الصاخبة حاولت ليديا أن تسلى رفيقتهما فى الطريق إلى لنجبورن ، مستعينة على ذلك بما تضيفه كتى من عبارات . ولم تعرها إلزبت إلا أقل ما تستطيع من الالتفات ، ولكنها لم يفهما أن تسمع اسم وكهام يذكر مراراً عدة .

واستقبلت الفتيتان فى المنزل أحسن استقبال . وسر مسر بنت

أن ترى چین جميلة كعندها بها ، وقال مستر بنت لإلزيبت أ أكثر
من مرة في أثناء العشاء :

« لقد سرني أنك عدت بالزى » .

وكانت الجماعة التي ضمتها حجرة الطعام كبيرة العدد ، لأن
آل لوكاس قد حضروا كلهم تقريباً لاستقبال مارية وسماع الأخبار .
وأخذت السيدة لوكاس تسأل مارية ، وقد جلست في الجهة المقابلة
لها من المائدة ، عن صحة ابنتها الكبرى ، وعن شئون بيتها .
أما مسر بنت فقد كان يشغلها أمران ، أولهما أن تستخلص وصفا
للأزياء الحديثة من چین التي كانت تجلس إلى المائدة على بعد منها ، وفي
الصف الذي كانت هي جالسة فيه ؛ وثانيهما أن تعيد ما تسمعه على
بنات لوكاس الصغيرات . وأخذت ليديا تصف بصوت أعلى من
صوت جميع الحاضرات جميع متع الصباح المختلفة لكل من تعنى
بالإصغاء إليها .

وكان مما قالتها : « آه ياميرى ! ليقك ذهبت معنا ، فقد كان
سرورنا عظيماً حقاً ! وما كان أعلى صوتنا في حديثنا وضحكنا ، حتى
لقد كان في وسع أى إنسان أن يسمعنا على بعد عشرة أميال منا ! »
وأجابت ميرى عن ذلك بتؤدة : « حاشاى يا أختى العزيزة أن
أزدرى هذه المتع ، ولكنى لأخفى عنك أنها لا تسبب لى أية يهجة ،
وأفضل منها فى نظرى أن أقرأ كتاباً » .

ولكن ليديا لم تسمع كلمة واحدة من هذا الرد ؛ ذلك أنها قلما

كانت تستمع لإنسان ما أكثر من دقيقة واحدة ، ولم تلتفت قط إلى ميري .

وألحت ليديا على سائر البنات بعد منتصف النهار أن يسرن إلى مربتين ، ولكن الزبث عارضت الفكرة باستمرار ، وحجتها أنه يجب ألا يقول أحد إن بنات بنت لا يستطعن البقاء في بيتهن نصف نهار قبل أن يجرين وراء الضباط . على أنه كان هناك سبب آخر لمعارضتها ، فقد كانت تخشى أن ترى وكهام مرة أخرى ، واعتزمت أن تتجاشى لقاء أطول وقت مستطاع .

الفصل الثالث والثلاثون

ولم تستطع إلزبت أن تصبر أكثر مما صبرت على عدم الإفضاء إلى جين بما حدث ، واعتزمت أخيراً أن تكتم في نفسها جميع التفاصيل الخاصة بأختها ، وبعد أن هيأت ذهنها لسماع ما يدهشها ، أخذت تقص في صباح اليوم التالي معظم ما حدث بينها وبين مستر دارسى . ثم تحدثت لها عن رسالته ، وأعادت على مسامعها كل ما حوته خاصاً بـجورج وكهام . وما كان أشد وقع هذا على جين المسكينة التي كانت تتمنى لو أنها خرجت من هذا العالم دون أن تصدق أن مثل هذا الشر الذي تجمع في فرد واحد يمكن أن يوجد في النوع الإنساني كله .

وكان مما قالته : « لست أعرف متى تلقيت صدمة أكثر من هذه ! أبلغ وكهام من الدناءة هذا المبلغ ؟ إن هذا لا يكاد يصدق العقل . ثم فكرى يا عزيزتى لرى في مستر دارسى المسكين وما قاساه دون ريب . فكرى في خيبة آماله مضافاً إليها علمه بسوء ظنك فيه واضطراره إلى أن يفضى بما أفضى به عن أخته ! » .

« إن هناك نقطة أحب أن أستشيرك فيها ، أريد أن أعرف هل يجب على أن أكشف إلى من أعرفهم بوجه عام عن أخلاق وكهام أولاً يجب على أن أفعل ذلك ؟ » .

وصممت الآنسة بنت قليلا ثم أجابتها بقولها : « لا شك في أنه لا داعي لأن يفضح هذه الفضيحة الشنيعة ؛ وما رأيك أنت في هذا ؟ » .

رأيي هو أنه يجب ألا أحاول هذا ، فستر دارسي لم يجز لي أن أعلن إلى الناس ما قاله لي ، ولهذا لن أقول الآن شيئا عما سمعته . « إنك محقة كل الحق . إن إعلان أخطائه على الجمهور قد يقضى عليه قضاء أبديا . ولربما كان هو الآن يندم على ما فعل ، ويتوق إلى إصلاح نفسه » .

وأدى هذا الحديث إلى إزالة ما كان قد استولى على عقل إلزبت من اضطراب . لقد تخلصت من سرين من الأسرار التي ظل صدرها ضائقا بها أسبوعين ، وأيقنت أن جين يجب أن تستمع إليها كلما أرادت أن تتحدث لها بعد ذلك عن هذين السرين ، غير أنها لم تجرؤ على أن تقص على أختها النصف الثاني من خطاب دارسي ، أو أن تشرح لها كيف كان صديقه يقدرها أعظم تقدير . لقد كانت هذه معلومات لا يستطيع أحد أن يشاركها فيها .

وأتيح لها حينئذ من الوقت ما يمكنها من ملاحظة نفسية أختها ، لقد لاحظت أن جين لم تكن سعيدة ، فقد كانت لا تزال تشعر بمطف قلبي على بنجلى .

وقالت مسرعة بنت في يوم من الأيام : « حدثيني يا لزي ، ماذا ترين الآن في أمر جين المحزن ؟ » .

« لست أظن أن مستر بنجلى سيسكن في نذر فيلدا بعد الآن »
« فليكن ! وليختر لنفسه ما يحلو له ، ولكن الذي أجد فيه سلوى
هو أن چین ستموت كسيرة القلب ، وحينئذ يندم هو على ما فعل »
ولما كانت إزبت لم تجد شيئاً من السلوى في هذه الأقوال فإنها
لم تجب بشيء .

وواصلت أمها الحديث بعدئذ قائلة : « وهكذا يا لزي يعيش آل
كلنز عيشة راضية ، أليس كذلك ؟ هذا كله حسن ، وكل ما أرجوه
أن تدوم هذه العيشة الراضية . وما شأن مائدتهم ؟ لست أشك في
أن شارلوت بارعة في إدارة المنزل . وإذا كانت تبلغ من الحرص
مبلغ أمها فإنها تقتصد كثيراً . وأظن أنهم يتحدثون كثيراً عن
استيلائهم على لنجبورن بعد وفاة والدك . ولا ريب في أنهم ينظرون
إليه نظرهم إلى ملكهم الخاص . وإني لأستحي أن تكون لي
ضيعة آلت إلى بمثل هذه الشروط الظالمة » .

الفصل الرابع والثلاثون

وكان الأسبوع الثاني بعد عودتهن هو آخر أسبوع تقيمه
الفرقة العسكرية في مريتن ، ومن أجل هذا أخذت فتيات الجهة
المجاورة تكتنبن بسرعة فائقة . وكانت بنات بنت الكبيرات وحدهن
هن اللاتي ظلنن يأكلن ويشربن وينمن ويقمن بعملهن كما اعتدن ،
وكثيراً ما كانت كتي وليديا اللتان بلغ بهما البؤس غايته تؤنباهن
على قسوة قلوبهن .

وكثيراً ما كانتا تصيحان من فرط ألمهن : « يا الله ! ماذا يكون
مصيرنا ؟ كيف تستطيعين الابتسام هكذا يا زى » . وكانت أمهن الرقيقة
القلب تشاركهما جميع أحزانهما ، فقد كانت تذكر ما قاسته في ظرف
مماثل لظرفهما أثناء شبابهما .

وقالت لهما : « وأنا واثقة من أنى ظلت أبكي يومين حينما
ارتحلت امرأة الكولونل ملر ، وخيل إلى وقتئذ أن قلبي سيتحطم »
وقالت ليديا : « ولست أشك في أن قلبي أنا سيتحطم » .
وقالت مسرعة : « ليت في وسع الإنسان أن يذهب إلى مريتن »
« نعم ولكن أبانا رجل شكس نكد » .

هذه هي الشكايات التي كانت تتردد على الدوام في بيت لنجهورن .
وحاولت إلزبت أن تتخذ منها موضوعاً للهو والتسلية ، ولكن كل

ما كانت تنطوى عليه من مراح قد أضاعه ما فيها من عار . وشمرت
وقتش بعدالة ما وجهه مستر دارسى من انتقاد ، ولم تكن فى وقت
من الأوقات أكثر مما هى الآن ميلا إلى الصريح عن تدخله فى
أفكار صديقه .

ولكن الظلام الذى كان يكتنف مستقبل ليديا لم يلبث أن
تبدد . ذلك أنها تلقت دعوة من مسز فورستر زوجة كبير ضباط
الفرقة لأن تصحبها إلى برين . وكانت صديقها هذه شابة فى مستقبل
العمر تزوجت من وقت قريب جداً .

وليس فى وسع الإنسان أن يجد ألفاظاً يصف بها سرور ليديا
بهذه الدعوة ، أو ابتهاج مسز بنت ، أو غضب كتي وغيرها . ولم
تعر ليديا إحساس أختها أقل عناية ، وأخذت تتنقل مسرعة فى أنحاء
المنزل فى انفعال واضطراب ، تستجدى التهنئة من كل إنسان ،
وتضحك وتتحدث بعنف لم يكن له مثيل فى حياتها الماضية ، على
حين ظلت كتي البائسة تندب سوء حظها .

وكان مما قالت : « لست أدرى لم لم تدعى مسز فورستر كما دعت
ليديا ؟ إن لى من الحق فى أن أدعى مثل ما لها ، بل إن حقى فى هذه
الدعوة يفوق حقها ، فأنا أكبر منها بسنتين » .

وحاولت إلزبت أن تردها إلى صوابها كما حاولت حين أن تجعلها
تستسلم للقضاء المحتوم ، ولكن محاولتهما ذهبت أدراج الرياح .
أما إلزبت نفسها فقد رأت فى هذه الدعوة الضربة القاضية على كل

أمل في سلامة ذوق ليديا وحسن إدراكها ، ولم يكن في وسعها أن تمنع نفسها من أن تشير على أبيها خفية ألا يصرح لأختها بالذهاب ، وإن كان من شأن عمل كهذا إن عرف أن يبغض أختها فيها . ومع ذلك فقد أفهمته أن ليديا إذا وجدت مع رفيقتها هذه ستكون أكثر طيشاً في بريتن حيث المغريات أقوى بالتأكيد مما هي في موطنها .

وقالت إلزابث لوالدها : « ولست أشك في أنك لو علمت بالضرر العظيم الذى لحقنا حتى الآن بعد أن شاهد الناس سلوك ليديا الخالى من الاحتشام لرأيت أن ذهابها يناقى الحكمة والعقل » .

وأعاد والدها قولها : « الذى لحقنا حتى الآن » ، ثم واصل حديثه قائلاً : « ماذا حدث ! هل نفرت بعض عشاقك ؟ مسكينة يا لى الصغيرة ، ولكن لا تكتئبي . إن الفتيات اللاتي لا يتصفن بشيء قليل من السخف غير جديرات بأن يأسف الإنسان عليهن »
لكن إلزابث اعتذرت لأبيها عن صراحتها في حديثها إليه ، وظلت جادة في لغت نظره إلى استهتار ابنتيه الصغيرتين في سلوكهما العام ، وإلى ما يتهددهما من خطر ثباتهما على هذه الأخلاق في المستقبل . ورأى هو أنها تحده في هذا الموضوع من صميم قلبها ، فأمسك بيدها في عطف وحنان وأجابها بقوله :

« لا تشغلي بالك بهذا الأمر يا حبيبتي . ما من شك في أنك أنت وحين تحترمان وتقدران في كل مكان تعرفان فيه . ولا يمكن أن

يقلل من قدركم أن لكما اثنتين — وقد أقول ثلاثاً — من الأخوات
السخيفات القاصرات العقل ، وإذا لم تذهب ليديا إلى برين فلن
يسود السلام هذا المنزل . دعيتها تذهب إذن ؛ فالكولونل فورستر
رجل عاقل ، ومينأى بها عن طريق الشر الحقيقي . ومن حسن
الخط أنها قد بلغت من الفقر درجة تنأى بها عن أن تكون مطمئناً
لأى إنسان . وستكون في برين أقل شأنًا مما هي في هذا المكان ،
فلتخرج إذن أن تتعلم التواضع من وجودها هناك » .
واضطرت إلزبت على الرغم منها أن تقنع بهذا الجواب .

الفصل الخامس والثلاثون

وحان الوقت الذي ترى فيه إلزبث مستر وكهام آخر مرة .
ولما كانت قد رافقته كثيراً بعد عودتها إلى بيتها ، فقد أصبح وجودها
معه أمراً مألوفاً لها ، وكان اهتمامها به قد زال ، ولم يبق منه شيء ؛
هذا إلى أن سلوكه معها في ذلك الوقت كان سبباً جديداً من أسباب
سخطها . ذلك أن ما كان يظهره من الميل إلى تجديد عنايته بها بعد
أن رحلت الأنسة كنج ، قد دلها على أنه يرى فيها من الغرور والبله
ما يجعلها تغتبط بالالتفات الذي يوجهه إليها في أى وقت يختاره هو
للتفضل به عليها .

وتعشى وكهام في لنجبورن مع بعض الضباط في آخر يوم من
مقام الفرقة العسكرية هناك . وكانت إلزبث قليلة الرغبة في أن
يفترقا وهما على ونام ، ومن أجل ذلك ذكرت له أن الكولونل
فتزوليم ومستر دارسى قد أقاما في روزنجس ثلاثة أسابيع ، وسألته
هل يعرف أول الرجلين .

وظهرت عليه أمارات الدهشة والكآبة والارتياح ، ولكنه
سيطر على حواسه وأجابها من فوره أنه كثيراً ما رآه من قبل ،
وسألها عن مقدار حبها إياه . وأجابت بحماسة أنها تحبه ، وزادت على
ذلك أنها ، بعد أن عرفت مستر دارسى أكثر مما كانت تعرفه ،

فهيمته هي أيضاً وأحبته أكثر مما كانت تفهمه وتحيه .
وظهر وقتئذ ارتياح وكهام في احمرار لونه واضطراب منظره ،
ولم يجرؤ على أن يقول أكثر مما قال كثيراً ، ولكن بدأ منه رغم
تظاهره بالبشاشة أنه يسره الآن أن يغادر هذه الناحية .
ولما تفرق الجمع عادت ليديا مع مسز فورستر إلى صريتن ؛ وكان
من المتفق عليه أن يبدأ سفرهما من هذا المكان في الصباح الباكر
من اليوم الثاني . وكان افتراقها من أسرتها يصحبه من الضوضاء
أكثر مما يصحبه من العطف والحنان . ولم يذرف الدمع أحد من
أفراد الأسرة إلا كتي ، وكانت دموعها دموع الحسرة والحسد ؛
وبلغ سرور ليديا الصاحب وهي تودع أسرتها مبلغاً جمل وداع
أخواتها الرقيق الهادي لا يستمع له أحد .

الفصل السادس والثلاثون

لم يكن زواج مستر بنت زواجا موفقا ، فقد وقع أسير الشباب والجمال وما يخلعانه عادة على من يتصف بهما من ظرف وفكاهة . وتزوج امرأة قضى ضعف ذكائها وضيق عقلها من أول الأمر على كل ما كان لها في قلبه من حب حقيق ؛ وزال بفضلها كل أثر للاحترام والثقة زوالا لارجعة له ، وخسر بذلك كل ما كان يرجوه من سعادة منزلية . ولكنه كان مولعا بالريف وبالكتب ، وكان جهل زوجته وسخف عقلها مبعث سرور وتسليمة له .

على أن الزيت لم يفتحها قط ما كان في سلوك والدها من شذوذ لا يليق بالأزواج . وكانت تنظر إليه على الدوام وهي متألدة ، ولكنها كانت تجل مواهبه وتحمده عطفه عليها وحسن معاملته لها ، ولذلك حاولت أن تنسى ما لم تجد سبيلا إلى الإغضاء عنه . ولكنها لم تكن في وقت من الأوقات أقوى شعورا مما هي الآن بالخطر الذي لا بد أن يتعرض له أبناء مثل هذا الزواج غير الموفق .

ووعدت ليديا وقت رحيلها أن تكتب إلى أمها وإلى كتي رسائل كثيرة مفصلة ، غير أن رسائلها مع ذلك كانت لا تصل إليهما إلا بعد انتظار طويل ، وكانت جد قصيرة على الدوام . فأما رسائلها إلى أمها فلم تكن تحتوى إلا أتفه الأخبار ، وأما رسائلها إلى كتي

فقد كانت على قصرها تحتوى كثيراً من الأسرار ، تطلب قراءتها إلى سائر أفراد الأسرة .

وما من شك في أن الحياة في صربتن أصبحت أكثر كثافة بسبب رحيل الفرقة العسكرية ؛ وأخذت إلزبت تتقرب رحلتها إلى الشمال مع خالها وزوجته ؛ وكان موعدها يقترب في كل يوم ، ولذلك كانت خيبة آمالها شديدة حين علمت أن أعمال خالها تحول بينه وبين البعد عن لندن الزمن الطويل الذي كان يرجوه . واضطرت الأسرة أن تقتطع من الرحلة زيارة البحيرات ، وأن تستعيض عنها برحلة أقصر كثيراً مما كان مقرراً من قبل . وأصبحت الرحلة حسب المشروع الجديد لا تبتعد شمالاً عن دربي شير ، حيث كانت ترجو مسز جاردنر أن تعود إلى زيارة البلدية التي قضت فيها أوائل حياتها . وكان ذكر دربي شير يثير كثيراً من الأفكار ، ولم يكن في وسع إلزبت أن تسمع هذا اللفظ دون أن تفكر في بمبرلى وفي مالكة .

الفصل السابع والثلاثون

وأخيراً انتهت فترة الانتظار وظهر مستر جاردنر وزوجته وأطفالهما الأربعة في لنجبورن . وكان المتفق عليه أن يبقى الأطفال الأربعة — وهم بنتان إحداهما في السادسة من عمرها والأخرى في الثامنة وولدان أصغر منهما — أن يبقى هؤلاء الأبناء تحت رعاية ابنة عمتهم چين وهي أحب إخوانها لهم . وكان لها من ثبات العقل وحلاوة الطبع ما يؤهلها للعناية بهم من جميع الوجوه — تعلمهم وتلعب معهم وتحبهم .

ولم يقم مستر جاردنر وزوجته في لنجبورن إلا ليلة واحدة ثم بدأ مع إلزبت رحلتها في صباح اليوم الثاني ، وهما واثقان من متعة واحدة على الأقل ألا وهي الرفقة الطيبة .

وزاروا في هذه الرحلة أما كن كثيرة ، ثم ولوا وجوههم آخر الأمر نحو بلدة لامتن الصغيرة من أعمال السدربي شير موطن مسز جاردنر السابق ، وذلك بعد أن شاهدوا جميع ما في الريف من العجائب الشهيرة . وعرفت إلزبت من زوجة خالها أن يمرلى لا تبعد عن لامتن أكثر من خمسة أميال ؛ ولما أخذت مسز جاردنر تتحدث عن مشروعاتهم أظهرت ميلها لزيارة هذا المكان مرة أخرى . وأعلن مستر جاردنر رضاه عن هذه الزيارة ، وسئلت ابنة أخته هل يوافق عليها ؟

واكتأبت إلزبت لأنها شمردت أن لا شأن لها بذلك المكان .
على أنها ادعت أنها قد ملت رؤية البيوت العظيمة ، وظنت مسر
جاردنر أن هذه سخافة منها ، وتحيرت إلزبت في أمرها ، فلم تدر
ما تفعل . ذلك أن احتمال مقابلتها مستر دارسى أثناء زيارتها لهذا المكان
كان مما تخشاه أشد خشية . وأحمر وجهها من مجرد التفكير في هذا
اللقاء . على أنها استطاعت أن تعرف من خادم في النزل الذى كانوا
فيه أن مالك الضيعة غائب عنها ، فلما أن أعيد ذكر الموضوع في
صباح اليوم الثانى وافقت من فورها على الزيارة ، لأن ما بدا عليها
قبل ذلك من الارتباك قد تبدل الآن تطلعا وتشوقا .

وكان عقل إلزبت والعربة تسير بهم غاصا بالأفكار ، فحال ذلك
بينها وبين الحديث ، ولكنهما كانت تشاهد كل بقعة مشهورة
وتعجب بها . وكان البستان فسيحا واسع الأرجاء ، واخترقوا في
طريقهم غابة جميلة تغطى أرضا واسعة ، وكان بيت يمبرلى بيتا فسيحا
جميل البناء ، يقوم على أرض مرتفعة ، وأمامه مجرى طبيعى ذو شأن
وسع من غير أن يرى فيه أثر ليد الإنسان . وسرت إلزبت بهذا
كله لأنها لم تر من قبل مكانا خلعت عليه الطبيعة كل هذا الرواء ،
 واحتفظ بجماله الطبيعى فلم يتلفه الذوق الفاسد . وكان خالها وزوجته
شديدي الإعجاب بالمكان ، وشعرت في هذه الساعة أنها لا تستنكف
أن تكون سيدة يمبرلى !

ولما طلبوا أن يروا المكان سمح لهم بدخول الردهة . وجاءت

مديرة المنزل - وهى سيدة كبيرة السن وقورة - وأطلعتهم على الحجر المهمة فيه . وكانت كل نافذة تطل على أنواع من الجمال ، وكانت الحجرات نفسها عالية جميلة ومؤثثة تأيئاً ليدل على حسن الذوق . وقالت فى نفسها : « وهذا المسكان هو الذى كان من الجائز أن أصبح سيدته ؛ وبدل أن أشاهده الآن مشاهدة الزائرين كنت فى هذه الحال أرحب بخالى وزوجته ضيفين عندى » . ثم تذكرت قول دارسى فواصلت حديثها لنفسها : « ولكنى مخطئة فإنى لم يكن لى فى هذه الحال أن أدعو إليه أقاربى » .

وكانت هذه ذكرى موفقة - فقد أنجتها مما يشبه الندم . وتاقت لأن تسأل مديرة المنزل هل صاحبه متغيب حقاً ، وأخيراً سأل خالها هذا السؤال ، وأشاحت بوجهها وهى منزعة حين سمعت الجواب : « إنا ننتظر مجيئه غداً مع جماعة كبيرة من أصدقائه » . وطلبت إليها زوجة خالها فى هذا الوقت أن تنظر إلى إحدى الصور ، وسألتها وهى تبسم عن مبلغ حبها لإياها ، وكانت صورة وكهام . وذكرت مديرة المنزل اسمه وأتبعته بقولها : « وقد ذهب لينضم إلى الجيش ولكن مع الأسف قد أصبح شرساً جداً » . ونظرت مسر جاردنر إلى قريبتها وهى تبسم ، ولكن إلزبت لم يكن فى وسعها أن ترد على هذه الابتسامة بمثلاً .

ثم نظروا إلى صورتين تمثلان مستر دارسى وأخته ، وسأل مستر جاردنر قائلاً : « وهل يعادل جمال الأنسة دارسى جمال أخيها ؟ » .

فأجابت مديرة المنزل : « نعم ، فهي أجمل شابة رآها الناس ،
وهي مهذبة أحسن تهذيب . فهي تعزف وتغنى طول النهار ، وفي
الحجرة الثانية آلة موسيقية جديدة أحضرت لها توأ — وهي مهداة
من سيدي . وستأتى معه إلى هنا غداً » .

« وهل يقيم سيدك كثيراً من أيام السنة في عمري ؟ » .
« إنه لا يقيم فيه بالكثرة التي أرغب فيها . أما الآنسة دارسى
فتأتى إليه على الدوام لتقضى فيه أشهر الصيف » .
وقالت إلزبت في نفسها : « إلا إذا سافرت إلى رمز جيت » .
« ولو تزوج سيدك لرأيت أنه أكثر مما ترينه الآن » .
« نعم يا سيدي ، ولكنى لست أعرف أية فتاة تصلح له » .
وتبسم مستر جاردنر وزوجته .

« إنى لا أقول غير الحق . إنى لم أسمع منه كلمة غضب واحدة في
حياتى مع أنى أعرفه مذ كان فى الرابعة من عمره » .
وأثار هذا الحديث التفات إلزبت الشديد . لقد كان هذا هو
العجب ما سمعت من مديح ، وهو يناقض آراءها أشد المناقضة .
« وهو خير الأسبياد وخير الملاك الذين وجدوا على ظهر
الأرض . إن بعض الناس يصفونه بالكبرياء ، ولكنى لم أرى من
كبريائه شيئاً » .

وابتهج مستر جاردنر أعظم ابتهاج حين استمرت مديرة المنزل

تعدد صفات سيدها الطيبة ، واعتقد أن ثناءها العظيم عليه ليس إلا نتيجة ميلها إلى أسرته .

وهمست مسز جاردنر في أذن إلزبت قائلة : « إن هذا الوصف الجميل لا يتفق ومسلكه مع صديقتنا المسكينة » .

وتمتت إلزبت قائلة : « إنهما ربما كانتا مخدوعتين » .

« هذا أمر بعيد الاحتمال ، فإن المصدر الذي استقيناه منه معلوماتنا مصدر موثوق به » .

ثم أدخلوا حجرة استقبال صغيرة جميلة جُدد أثاثها من وقت قريب ، وقيل لهم إن هذا التجديد إنما عمل لتسريحه الآنسة دارسي ، فقد أظهرت حبها لهذه الحجرة في آخر زيارتها ليمبرلي

وقالت مديرة المنزل : « وهذه هي طريقته على الدوام ، ما من شيء يسر أخته إلا فعله من فوره » .

وقالت إلزبت : « إنه أخ طيب بلا ريب » .

ولاريب في أنها كانت في تلك اللحظة تحس نحوه إحساساً أرق مما أحست به حين بلغت معرفتها إياه غايتها . لقد كانت كل فكرة تنطق بها مديرة المنزل ثناء على خلقه ، ولما نظرت إلى صورته مرة أخرى ، فكرت في حسن ظنه بها ، وأثار هذا التفكير فيها شعوراً بالشكر له أقوى مما أثاره في أي وقت مضى .

الفصل الثامن والثلاثون

ولما فرغوا من مشاهدة المنزل خرجوا للإعجاب بالجنائن بإرشاد البستاني . وبينما هم سائرون نحو النهر التفتت إلزبت وراءها لتلقى على البيت نظرة أخرى ، فأبصرت صاحبه يظهر فجأة من الطريق المار خلفه .

ولم يكن بينهما أكثر من خمسين ياردة ، وكان ظهوره على حين غفلة منها فلم يكن في وسعها أن تتحاشى رؤيته . والتقت أعينهما ، وعلت خدودها حمرة قاشة ، وفزع هو أشد الفزع ، وظل برهة من الزمان وكأنه قد عجز عن الحركة لشدة دهشته ، لكنه سرعان ما تملك حواسه ، وتقدم نحو الجماعة ، وتحدث إلى إلزبت حديثا ، كان على الأقل غاية في الأدب ، وإن لم يكن هادئا كل الهدوء .

وكانت حين أبصرته قد ولت وجهها عنه ، فلما رآته يقترب وقفت وتلفت تحيائه لها وهي مرتبكة ارتبا كما لم يكن في وسعها أن تغلب عليه . ووقف مستر جاردنر وزوجته على بعد قليل بينما كان دارسى يتحدث إلى إلزبت . ولم تجرؤ لدهشتها وارتباكها أن ترفع عينيهما إلى وجهه ، ولم تدر ما أجابت به عن أسئلته المؤدبة عن أسرتها . واستولت عليها الدهشة لما طرأ على أخلاقه من تبدل بعد أن افترقا ، ولهذا رأت أن كل عبارة ينطق بها تزيد من حيرتها .

ومر بعقلها ما في وجودها في ذلك المكان من خرق وعدم لياقة ، فكانت الدقائق القليلة التي وجدت فيها معه أصعب ما مر عليها من الأوقات في حياتها وأشدّها مضايقة لها . ولم يكن هو نفسه بأحسن حالا منها ، ذلك أنه لما تحدث إليها لم يكن في صوته ذلك الهدوء المألوف ، وكان يكرر بعض أسئلته أكثر من مرة .

وأخيراً بدا وكأنه قد نفذ كل ما عنده من أفكار ، فوقف بضغ دقائق ، لا ينطق فيها بكلمة ، ثم استأذن منها أن ينصرف . وانضم إليها بعدئذ سائر الجماعة ، وغلب عليها الخجل والضيجر . لقد كانت فكرة مجيئها إلى ذلك المكان أشأم الأفكار وأكثرها سفهاً ! ففي أية صورة شائنة مذلة سيبدو مجيئها هذا لعقل هذا الرجل المتكبر المغرور ؟ لقد يبدوله أنها ألفت بنفسها مرة أخرى في طريقه . ربه ! لم جاءت إلى ذاك المكان ؟ أو لم مجل هو بالحجى قبل اليوم الذى كان ينتظر فيه قدومه بيوم ؟ ولم تغير سلوكه هذا التغير العجيب ؟ ما معنى هذا كله ؟ إن مجرد حديثه لها كان غاية في الغرابة ! فما بالك إذا تحدث إليها بمثل ما تحدث من الأدب وسألها عن أسرتها ! إنها لم تره في حياتها كلها أكثر ظرفاً مما رأيته في هذا اليوم ، والحق أنها قد تحيرت فلم تعرف ماذا تظن .

وشرعوا الآن يسرون في طريق جميل بجانب الماء ، ولكن مضى بعض الوقت قبل أن تستطیع الزبث أن توجه إليه أى التفات ، وإن كانت قد أجابت على ملاحظات رفيقها إجابات آلية ، فقد

كانت تتوق إلى معرفة ما كان يدور في عقل مستر دارسى ، وهل لا تزال عزيزة عليه بالرغم من كل ما حدث منها ؟

وبعد أن جالوا في المكان بعض الوقت في خطا وثيدة ، لأن القعب أخذ يحل بمسز جاردنر التي لم تكن تطيق المشى الكثير ، فوجئوا مرة أخرى برؤية مستر دارسى يقترب منهم . ونظرت إليه إلزبت نظرة خاطفة ، فأدركت أنه لم يفقد شيئاً من أدبه الذى ظهر به توا ، وأرادت أن تقلده في هذا فأخذت تبدي إعجابها بالمكان ، ولكنها لم تكن تعبر عن هذا الإعجاب بغير لفظ « ساحر » . وبينما هى كذلك إذ خطرت ببالها فكرة مشثومة أذكرتها أن ثناءها على بمبلى قد يساء فهمه ، ثم امتقع لونها ولم تنطق بكلمة أخرى .

ولما سكنت سألها هل تتفضل بتقديمه إلى صديقها . وأخذت فى هذا على غرة ، وقالت فى نفسها : « ماذا عسى أن تبلغ دهشته حين يعرف حقيقة أمرها ؟ إنه بظنهما الآن من الطبقة الراقية » . لكنها مع ذلك قدمته لهما على الفور ، ولما ذكرت له قرابتهما إليها نظرت إليه خلسة لترى أثر ذلك فيه . واتضح لها أنه دهش ، ولكنها بدل أن يغادر المكان ذهب إليهما وأخذ يتحدث إلى مستر جاردنر . ولم يسع إلزبت إلا أن تغتبط بمسلكه هذا ، فقد كان يريح بالها أن يعرف أن لها أقارب ليس ثمة ما يوجب عليها أن تحجل منهم . وأصغت إلى حديثه معهما بعناية ، وسرتها كل عبارة منه وكل جملة نطق بها خالها تدل على شدة ذكائه ورقة ذوقه وحسن أدبه .

وسرعان ما انتقل الحديث إلى صيد السمك ، وسمعت مستر دارسى يدعوهُ في أدب جم إلى الصيد في ذلك المكان كلما شاء . وكانت مسز جاردنر وقتئذ تسير متأبطة ذراع إلزبت ، فنظرت إليها نظرة عبرت فيها عن دهشتها ؛ ولم تقل إلزبت شيئاً ، ولكن هذه الدعوة أرضتها غاية الرضا ، ذلك أن التحية كانت كلها من غير شك موجهة لها هي .

وبعد قليل من الوقت تعبت مسز جاردنر من رياضة الصباح ، فلم تجد في ذراع إلزبت عوناً كافياً لها ، ولذلك فضلت عنها ذراع زوجها ، وحل مستر دارسى محلها بجانب إلزبت . وبعد صمت قصير تكلمت هي أولاً فقالت له إنها تحب أن يعرف أنهم أكدوا لها قبل مجيئها إلى هذا المكان أنه غائب عنه ، واعترف هو بأنه عجل بالعودة لبعض شؤونه ، ثم أضاف إلى هذا قوله : « إن بقية الجماعة الذين كانوا معي سيأتون إلى هنا غدا ، ومنهم من يدعون بأنهم يعرفونك — مستر بنجلى وأختاه » .

ولم تجب إلزبت بأكثر من انحناء خفيفة .

وبعد صمت قليل واصل حديثه قائلاً : « ومنهم إنسان شديد الرغبة في التعرف بك ، فهل تسمحين لى بأن أقدم لك أختى ، أو هل تظنين أنى بهذا الطلب قد عدوت طورى ؟ »

وكانت دهشتها من هذا الطلب عظيمة حقاً . لقد بلغت هذه الدهشة حداً لم تدر معه كيف وافقت عليه ؟

ثم سارا بعدئذ صامتتين . ولم تكن إلزبت مطمئنة النفس ، فقد كان اطمئنانها في مثل هذا الموقف أمراً مستحيلاً . ولكن طلبه هذا كان فيه إطراء لها يسرها .

ولما لحق بهما مستر جاردنر وزوجته عند الدار ألح عليهم جميعاً أن يدخلوها ويتناولوا بعض الرطبات ، ولكنهم اعتذروا عن عدم قبول الدعوة ، وساعد مستر دارسي السيدتين على ركوب العربة ، ولما انطلقت بمن فيها شاهدهن إلزبت يسير على مهل نحو البيت .

وأخذ خلها وزوجته يتحدثان عن الأثر الطيب الذي تركه فيهما ، وأخذ إيلومانا بقولها : « بأى حق قلت لنا إنه شخص فظ ؟ » وقدمت إلزبت من الأعذار أحسن ما كانت تستطيع تقديمه .

ثم رأت من واجبها أن تقول لهما - بأكثر ما تستطيع من التحفظ والحرص - إنها تعتقد أنها لم تكن على حق في ظنها أنه أخطأ في معاملة وكهام . ودهشت مسز جاردنر من هذا القول ؛ ولكنهم كانوا وقتئذ يقتربون من الأماكن التي قضت فيها عهد شبابها ، فكان اهتمامها كله موجهاً إلى مافي الذكريات القديمة ، ومافي لقاء الأصدقاء القدامى بعد غياب كثير من السفين ، من مسرات ومتع . ولهذا أرمنت إلزبت من الأسئلة المربكة ، وكان في سماعها أن تجعل شغلها الشاغل أفكارها هي نفسها .

الفصل التاسع والثلاثون

ولجاء مستر دارسى بأخته لزيارة إلزبت بعد ساعات قليلة من قدوم أخته إليه فى اليوم الثانى . ودهش جاردنر وزوجته أشد دهشة ، ولاحظت لهما فكرة جديدة فى هذا الموضوع .

ورأت إلزبت وهى مندهشة أن صاحبها الجديدة لم تبلغ من الكبرياء غايته كما كان يصلها عنها ، وأن كل ما كانت تتصف به هو الحياء الشديد . وكانت تلوح على وجهها علامات التعمق والفكاهة العذبة ، وكانت آدابها راقية إلى أقصى حد .

ولم يمض على وجودهما إلا قليل من الوقت حتى جاء بنجلى أيضا لزيارة إلزبت . ولم تر تغيرا فى أخلاقه ، فقد كان ينظر إليها ويتحدث معها فى سهولة حديث الصداقة ، ولم يكن فى نظر مستر جاردنر وزوجته أقل لطفا فى نظرها هى . لقد كانا يتطلعان إلى رؤيته من زمن بعيد ، والحق أن الجماعة التى كانت أمامهما قد أثارت كلها اهتمامهما الشديد ، فقد كانا يعينان بملاحظة مستر دارسى وإلزبت ، وظلا يخالجهما بعض الشك فى عواطفها نحوه ، ولكن إعجاب دارسى العظيم بها كان يبدو لهما واضحاً كل الوضوح .

أما إلزبت فكان يشغلها الشئ الكثير . لقد كانت ترغب فى أن تبدو لزارئها لطيفة ظريفة ؛ وكانت تراقب بعينها مستر بنجلى

والآنسة دارسى ، وهى التى كان يراد أن تحل عنده محل جين ؛ ولم تر
فى سلوكه أو سلوكها ما يبرر أقوال الآنسة بنجلي . وانتهز بنجلي
فرصة اشتغال الجماعة بالحديث ، فقال للإزبث بصوت يهدو
فيه أسفله الحق إنهما لم يلتقيا من ثمانية أشهر أى من يوم حفلة
نذرفيلد الراقصة ، وسر الإزبث أنه كان قوى الذاكرة إلى هذا الحد .
وانتهز بعد ذلك فرصة أخرى فسألها على حدة هل أخواتها كلهن فى
لنجبورن ؟ ولم يكن فى السؤال شىء غير عادى ، ولكن نظراته
وهيئته أكسبته معنى لم يكن له .

ولم يكن فى استطاعتها أن توجه نظراتها كثيرا إلى مستر دارسى
نفسه ، ولكنها كلما استطاعت أن تلقى نظرة خاطفة عليه ، رآه
يبذل غاية جهده ليكسب حسن ظن خالها وزوجته به . ولما انتهت
الزيارة دعوا جميعا للعشاء فى ممبرلى بعد يومين من ذلك الوقت .

الفصل الأربعون

واستقر رأى إلزبت وزوجة خالها على أن ما أظهرته الآنسة دارسى من المجاملة العظيمة بزيارتها لها يوم وصولها بالذات يجب أن يحتذى ، وإن كان من المستحيل عليهما أن يبلغا من المجاملة ما بلغته هى . ولهذا اعتزما أن يزوراها فى عمبرى فى صباح اليوم الثانى . وسرت إلزبت من هذا ، وإن كانت حين سألت نفسها عن سبب هذا السرور لم تجد إلا القليل الذى كان فى وسعها أن تجيب به عن هذا السؤال .

ولما وصلتا إلى الدار استقبلتهما الآنسة دارسى ، وكانت وقتئذ جالسة مع مسز هرست والآنسة بنجلى والسيدة التى كانت تقيم معها فى لندن . وكان استقبال جورجيانا لها يغلب عليه الحياء الشديد ، وكان من شأنه أن يطبعه خطأ بطابع الكبرياء ، لولا أن مسز جاردنر وقربيتها لم تظلمها ورثتا لخالها .

ولم تستقبلهما مسز هرست والآنسة بنجلى بأكثر من انحناء ، ولما جلستا أعقبت ذلك الجلوس فترة من الصمت ثقيلة مملّة ، قطعتها أولا رفيقة للآنسة دارسى ، وهى سيدة مهيبة أخذت تتحدث إلى مسز جاردنر حديثاً شاركتها فيه إلزبت من حين إلى حين . وظهر على الآنسة دارسى كأنها ترغب فى أن يكون لها من الشجاعة ما يكفي للاشتراك فى هذا الحديث .

وسرعان ما رأت إلزبت أن عيني الآنسة بنجلى ترقبان كل حركاتها وسكناتها . وبعد أن مضى ربع ساعة من بدء الزيارة سألتها الآنسة بنجلى في فتور عن صحة أسرتها ، وأجابتها إلزبت جواباً لا يقل عن سؤالها فتوراً .

ثم دخل بعض الخدم يحملون اللحم البارد والفظائر وطائفة مختلفة من أحسن فاكهة ذلك الفصل ؛ وبعد وقت قصير أقبل مستر دارسى بعد أن قضى بعض الوقت في صيد السمك مع مستر جاردنر .

وهدت إلزبت حكمتها إلى أن تعزم الظهور هادئة غير مرتبكة على الإطلاق ، وبخاصة حين أدركت أن الجماعة كلها قد أخذت ترتاب في سلوكها . ولم يظهر الالتفات والاستطلاع قوين في وجه أحد من الحاضرين كما ظهر في وجه الآنسة بنجلى ، على الرغم مما علاه من بساط حين كانت تتوجه بالحديث إلى أحدهما ، وذلك لأن الغيرة لم تسكن قد غلبتها على أمرها ، ولأنها كانت لا تزال تأمل في كسب قلب مستر دارسى . على أنها في لحظة من لحظات التهور الذي دفعها إليه الغضب بادرت إلى سؤال إلزبت في أدب يشوبه الاستخفاف :

« خبريني من فضلك يا آنسة إلزا ، ألم تبرح الفرقة العسكرية صريتن ؟ لقد كان في سفرها خسارة عظيمة لأسرتك من غير شك » وأجابت إلزبت بنعمة فيها غير قليل من الهدوء ، ولاحظت

وهي تتحدث أن دارسى قد امتقع لونه كثيراً ، وأن أخته غلب عليها الارتباك . أما الآنسة بنجلي فقلما كانت تعرف مقدار ما سببته لصديقها من الألم ، بل كان كل ما ترى إليه هو أن تبعث الاضطراب في نفس الزبث ، وتحملها على أن تظهر من الشعور ما يحقرها في عين مستر دارسى .

على أن سيطرة الزبث على نفسها سرعان ما هدأت من عواطفه . ولما كانت الآنسة بنجلي في غضبها وخيبة آمالها لم تجرؤ على أن تقرب من موضوع مستر وكهام أكثر مما اقتربت منه قبل ، فإن جورچيانا هي الأخرى استعادت هدوءها بعد قليل .

ولم تطل الزيارة بعد هذه الحادثة كثيراً ، ولما عاد مستر دارسى بعد أن أوصل الزائرين إلى عربتهم أخذت الآنسة بنجلي تشغل نفسها بانتقاد مظهر الزبث ومسلكتها وملبسها .

وصاحت قائلة : « ما كان أقبح منظر إلزا بنت في صباح اليوم ! إنى لم أر في حياتى شيئاً تبدل كما تبدلت هي بعد فصل الشتاء . لقد اسمر لونها كثيراً وغلبت عليها خشونة الطبع ؛ ولو أنى سئلت عنها لما وجدت بداً من الاعتراف بأنى لا أستطيع أن أرى فيها جمالا البتة . فأما معارفها فليست جميلة قط ، وأما عيناها فإن لها نظرات حادة » .

ولم تسكن هذه هي خير وسيلة تستطيع بها الآنسة بنجلي أن تحبب نفسها إلى مستر دارسى ، وهي التي كانت مقتنعة بأنه كان

يعجب بالزبث . فقد بدا عليه الغضب وإن كان قد ظل صامتا ،
وأجمعت رأيها هي على أن تنطقه فواصلت حديثها قائلة :

« أذكر كيف قلت أنت في ليلة من الليالي بعد أن عرفناها
أول الأمر في هرتفوردشير وبعد أن تعشوا في نذر فيلد ، أذكر
كيف قلت : أهذه جميلة ! لو كانت ذات جمال لكان من حق أن
أقول إن أمها ذات فكاهاة ! : ولكني أعتقد أنك ظننتها على
شيء من الجمال فيما بعد » .

ولم يستطع مستر دارسى أن يتغلب على عواطفه أكثر مما
تغلب عليها ، فرد عليها بقوله : « نعم ، إنى كنت من عدة مشهور
ولا زلت حتى الآن أعدها من أجمل من عرفت من النساء » .

وفي هذا الوقت كانت مسز جاردنر والزبث تتحدثان وهما
عائدتان عن كل ما حدث في أثناء زيارتهما ، اللهم إلا عما كان
يهن عليهما بنوع خاص ، وعن من كان يشغل بالهما أكثر مما كان
يشغله أى إنسان آخر . لقد تحدثتا عن أخته ، وعن أصدقائه ، وعن
بيته ، وعن فاكهته ، وعن كل شيء إلا عنه هو نفسه ! ولكن
الزبث كانت تتوق إلى أن تعرف رأى مسز جاردنر فيه ، وكان يرضى
مسز جاردنر غاية الرضا أن تفتتح الزبث الحديث في هذا الموضوع .

الفصل الحادى والأربعون

وساء الزبث كثيرا أن چين لم تكتب لها ساعة أن وصلت هي ومن معها إلى لامتن ؛ وتجدد استياؤها في كل يوم من اليومين اللذين قضتهما هناك ، ولكنها ذهب عنها قلقها في اليوم الثالث حين تلقت رسالتين من چين في وقت واحد ، أرسلت أولاهما إلى مكان غير الرسالة إليه لأن عنوانها لم يكن واضحا .

وسار خالهما وزوجته يتزهران وتركاهما لمتعة نفسها بقراءة الرسالتين وهي هادئة . وكانت أولاهما قد كتبت من خمسة أيام قبل وصولهما ، وحوث في بدايتها وصفا للحفلات الصغيرة والمواعيد وطائفة أخرى من الأخبار المحلية التفاهة ، ولكن آخرها - وقد كتب بعد أولها بيوم وكتب بطريقة تدل دلالة واضحة على اضطراب عقلها - حوى أخبارا أكته خطرا من أولها ، وها هو ذا نصه .

« حدث يالزى يا أعز الأخوات بعد كتابة ما تقدم حادث خطير لم يكن متوقعا قط . إن الذى سأحدثك عنه أمر خاص بليديا المسكينة ، فقد وصل إلى يدي بالبريد العاجل في الليلة الماضية ، بعيد أن آوينا إلى مضاجعنا ، خطاب من الكولونل فورستر يبلغنا فيه أنها سافرت إلى اسكتلندة مع ضابط من ضباط فرقته هو فى الحقيقة وكهام ! تصورى أنت دهشتنا . أما كتى فلم يبد لها هذا أمرا غير متوقع قط ،

وقد أحنزنى هذا وأمض قلبي ، ألا ما أبعد هذا الزواج عن الحكمة من كلتا الناحيتين ! لقد قرأ مساء يوم السبت حوالى الساعة الثانية عشرة ، ولكن فرارهما لم يعرف خبره إلا صباح أمس . والآن لابد لى من أن أختم هذه الرسالة ، لأنى لا أستطيع الابتعاد طويلا عن أى المسكينة التى آلم قلبها الحزن وأكسف بالها . وأخشى أنك لن تستطيعى فهم هذا الخطاب ، ولكنى يصعب على أن أعرف ماذا كتبت . ولم تترك الزبث لنفسها وقتا تفكر فيه ، بل إنها لم تكد تفرغ من قراءة الخطاب الأول حتى أمسكت بالخطاب الثانى ، وفضته وهى قلقة فارغة الصبر ، وقرأت فيه ما يأتى :

« لقد وصلتك قبل هذا يا أعز أخواتى رسالتى التى كتبتها على عجل وأرجو أن تكون هذه أوضح من سابقتها ، ولكن عقلى قد باغ من الاضطراب حدا لا أستطيع معه أن أحمّل تبعه ما فيها من غموض . إن لك عندى يا عزيزتى لزى أخبارا سيئة ، وهى أخبار لا أستطيع أن أوجل الإفضاء بها إليك . ذلك أنه مهما خلا زواج مستر وكهام وأختنا المسكينة ليديا من الحكمة ، فإننا الآن نرغب رغبة شديدة فى أن نتأكد أن هذا الزواج قد تم فعلا . لقد تركت ليديا مذكرة قصيرة إلى مسز فورستر أشارت فيها إلى أنهما سيذهبان إلى جرتناجرين ^(١) ؛ ولكن دنى نطق بعبارة تم عن اعتقاده بأن وكهام

(١) قرية فى اسكتلندة قريبة جداً من الحد الفاصل بينها وبين إنجلترا ، ولما كانت القوانين الاسكتلندية أسهل من القوانين الإنجليزية فى مسائل الزواج فإن المحبين القارين كثير ما يذهبون إليها ليمتزوجا على الفور ومن غير إجراءات شكلية

لا يريد قط أن يذهب إلى ذلك المكان ولا أن يتزوج قط بليديا . وقد أعيد هذا القول على مسامع الكولونل فورستر فارتاع له من فوره وسار وراءهما ، واستطاع أن يقتفى أثرهما ، ولكنه لم يستطع أن يواصل عمله هذا إلى أبعد من لندن حيث اختفيا . وبعد أن بحث عنهما بكل وسيلة مستطاعة حمل قلبه الطيب على العودة إلى لنجيبورن وإبلاغنا الخبر . إن مصيبتنا يا عزيزتى لرى لعظيمة جداً ، وإن أمى وأبى ليظنان به أسوأ الظنون ، أما أنا فلا أسى به الظن إلى هذا الحد ، ولعل هناك سبباً يدعوها إلى أن يتزوجا سرّاً فى المدينة . إن أمى المسكينة مريضة بحق ، أما أبى فإنى لم أره فى حياتى متأثراً كما هو الآن ، وقد صب أبوانا جام غضبهما على كتى المسكينة لأنها أخفت عنهما صلة وكهام بأختها ، ولكن المسألة مسألة ثقة ، وليس المرء أن يعجب من فعلها هذا . وإنى ليسرنى حقاً يا عزيزتى لرى أنك قد نجوت من رؤية بعض هذه المناظر . والآن وقد ذهبت الصدمة الأولى فهل لى أن أعترف لك بأنى أتوق إلى عودتك ؟ على أنى لست من الأنانية بحيث ألح عليك فى العودة إذا كان هذا عسيراً عليك ، وسيذهب والدنا إلى لندن فى الحال ليحاول العثور على ليديا ، ولكن وقع الكارثة الشديد عليه إن يمكنه من أن يسلك أحسن السبل فى أى نهج ينهجه ؛ ولهذا فإن مشورة خالى ومساعدته فى هذه الظروف سيكون لها أعظم قيمة .

الفصل الثاني والأربعون

ولما فرغت إلزبت من قراءة الرسالة انتفضت قائمة من مقعدها وصاحت : « آه ! أين خالى ! أين هو ؟ » وهى شديدة الرغبة فى تتبعه دون إبطاء . ولكنها حين وصلت الباب فتحة أحد الخدم وظهر أمامها مستر دارسى . وارتاع حين رأى وجهها الشاحب ومسلكها الدال على العجالة ، وقبل أن يذهب عنه روعه إلى حد يستطيع معه الحديث صاحت من فورها : « معذرة ، ولكننى مضطرة إلى أن أتركك ، إذ لا بد لى أن أعثر على مستر جاردنر فى هذه اللحظة ، وذلك لى حاجتى إليه فى عمل لا يحتمل التأخير » .

وصاح هو وقد بدا عليه من الشعور أكثر مما بدا من الأدب : « رحماك اللهم ! ماذا حدث ؟ » ، ثم هدا شعوره وقال : « لن أؤخر ذهابك دقيقة واحدة ؛ ولكن اسمح لى أو اسمح للخدام أن يستدعى مستر جاردنر ، فلست بحالة تمكنك من الذهاب ، ولن تستطيع أنت أن تخرجى إليه » .

وترددت إلزبت ، ولكن ركبتيها كانتا تصطكان من تحتها ، ثم استدعت الخادم وناولته الرسالة . ولما غادر الحجرة جلست خائرة القوى ، وبدا عليها الضعف الشديد حتى لم يستطع دارسى أن يتركها وحدها أو أن يمسك لسانه عن أن يقول لها فى نغمة مشبعة بالرفقة

والعطف : « اسمحي لي أن أدعو خادمك . أليس هناك شيء
تشرينه ليسعفك في هذه الساعة ؟ كقدح من نبيذ ؟ أأتيك بقدح
من نبيذ ؟ إنك مريضة جداً » .

وأجابته وهي تريد أن تستعيد هدوءها : « لا ! أشكر ، إنى
بصحة جيدة ؛ وكل ما في الأمر أنى قد ساءت أخبار مروعة جاءتني
من بيتنا » .

وأجهشت بالبكاء وهي تقول هذا ، وظلت بضع دقائق لا تقوى
على النطق بكلمة أخرى . ثم واصلت حديثها آخر الأمر قائلة :
« لقد تركت أختي الصغرى كل أصدقائها ؛ لقد فرت ، لقد ألفت
بنفسها في أحضان — مستر وكهام ؛ وليس لديها مال ، وليس لديها
ما يغيره — لقد فقدناها أبد الدهر » .

وجدد دأري في مكانه من فرط دهشته . وقالت هي بعدئذ :
« وحين أذكر أنني كان في وسمي أن أمنع هذا ! أنا التي كنت
أعرف حقيقة أمره ؛ ولكن سبق السيف العدل » .

وتتم دأري ببعض كلمات تدل على عطفه ، وأجابت إلزبت
عن أسئلته بأن قصت عليه ما تعرف من تفاصيل الأمر . وبدأ هو
وكأنه لا يكاد يسميها ، وأخذ يذرع الحجرة جيئة وذهاباً ، ويفكر
تفكيراً عميقاً ، وهو مقطب الجبهة ، وعليه أمارات الجد . وفهمت
إلزبت لساعتها ما يفكر فيه ، وأخذت قواها تخور بعد أن تبينت
ما في هذا العمل من دليل قاطع على ضعف أخلاق أسرتها ، وما جللها

ذلك العمل من عار ليس بعده عار . ولم يكن في وسعها وقتئذ أن تدهش أو تلوم ، ولكن هذا الظرف كان بحيث يجعلها تدرك ما في نفسها من رغبات ، ولم تكن في يوم من الأيام لتشعر شعوراً صادقا بأنها تستطيع أن تحبه كما شعرت في تلك الساعة التي كان فيها كل حب له لا يجديها نفعا .

ولكن سرعان ما طغى على متاعبها الخاصة تذكراها أمر ليديا ، ففطت وجهها بمندبل يدها ، وذهب من عقلها كل ما عداها على الفور . وبعد صمت دام بضع دقائق نهبا إلى موقفها صوت رفيقها وهو يقول لها : « أخشى أن يكون هذا الحادث المشؤم سببا في منع أختي من أن تحظى برؤيتك اليوم في عيبرلى » .

« أجل ! أرجو أن تتفضل بالاعتذار للآنسة دارسى بالنيابة عنا .
وقل لها إن أمورا ذات بال تتطلب عودتنا إلى بيتنا في الحال ، وأخف عنها حقيقة النبأ أطول وقت مستطاع » .

ووافق من قوره على أن يفعل هذا ، ثم غادر المكان دون أن يلقي عليها إلا نظرة وداع واحدة . وشعرت لثرب وهو يغادر الحجرة بأنه ليس من المستطاع بعد تلك الساعة أن يتلاقيا مرة أخرى في جو من الصداقة كالجو الذي كان يسود لقاءهما وقتئذ ، ثم استعادت في ذاكرتها ماضى معرفتهما كله ، وما امتلأ به من متناقضات واختلافات ، وتهدت حسرة على ما تبدل من عواطفها ، وهي عواطف كان من شأنها في هذه الساعة أن تشجع ذلك الأمل الذي

كانا يرغبان من قبل في القضاء عليه .

وإذا كان شكر النعمة والاحترام أساسين قوين للحب ، فإن تبدل عواطف الزبث لا يعد وقتئذ خاطئاً أو بعيد الاحتمال . ومهما يكن من ذلك الأمر فقد نظرت إليه وهو يغادر المكان وهي آسفة على فراقه ، وضاعف آلامها تفكيرها في هذه البادرة الأولى مما سوف يجبر إليه مسلك أختها ليديا . إنها لم يكن لها أمل في أن وكهام يقصد بحق أن يتزوج بأختها . ولم تلاحظ هي في يوم من الأيام حين كانت الفرقة العسكرية في مريتن أن ليديا تميل إليه ميلاً خاصاً ، ولكنها لم تكن تشك في أن ليديا لا تحتاج إلا إلى ما يشجعها على أن تتعلق بأى إنسان ، فقد كانت تصطفى لنفسها هذا الضابط تارة وذاك تارة أخرى ؛ ومع أنها لم تكن تظن أن ليديا فرت عامدة وهي لا تتنوى الزواج ، فإنها كانت تعتقد رغم هذا أنها ستكون فريسة سهلة لرجل مخادع .

وكان مستر جاردنر وزوجته قد أسرعا بالعودة ، وهما مرتاعان ، وأفضت إليهما الزبث في حدة بسبب استدعائهما ، وكان لا بد لهما أن يتأثرا أشد التأثر من ذلك الخبر ، وإن لم تكن ليديا في يوم من الأيام محببة إليهما . وبعد أن هدأت صيحات الدهشة والارتياح الأولى ، وعدّها مستر جاردنر من فوره بأن يقدم لها كل ما في وسعه من المعونة . وصرعان ما استقر الرأي على كل ما تستلزمه رحلتهم من استعداد . وصاحت مسز جاردنر قائلة : « ولكن ماذا نفعل بالدعوة إلى عيلى ؟ »

فأجابت الزبث قائلة : « لقد أخبرت مستردارمى أننا لن نستطيع
الوفاء بوعدنا . لقد انتهينا من ذلك كله » .
وأعادت مسز جاردنر فى نفسها وهى تسرع إلى حجرتها لتعد
العدة للسفر : « ما الذى فرغت منه كله ؟ وهل بينهما من العلاقة
ما يميز لها أن تفضى إليه بجلية الخبر ؟ ما أشد رغبتى فى أن
أعرف هذا ! » .

وكان لابد من حزم الأمتعة وكتابة الرسائل إلى جميع أصدقائهم
فى لبتن واختلاق المآذير لرحيلهم المفاجئ . على أنه لم تمض إلا ساعة
حتى تم كل شيء ، ووجدت الزبث نفسها جالسة فى العربة تنطلق
بها فى طريقها إلى لنجبورن .

الفصل الثالث والأربعون

واجتازوا المسافة بأسرع ما يستطيعون ؛ وناموا ليلة واحدة في الطريق ، ثم بلغوا النجبورن في اليوم الثاني وقت العشاء .

وجذب منظر العربية أبناء جاردنر الصغار فوقفوا على درج البيت ، وكانت دهشتهم وبهجتهم التي تالأت من أجلها وجوههم هي تحيتهم الأولى للقادمين .

وقفزت إلزبت من العربية ، وقبلت كل طفل من الأطفال قبلة عاجلة ، وأسهرت إلى الردهة حيث التقت على الفور بجين ، وكانت قد أقبلت إليها تجري من غرفة والدتها .

وخيمتها إلزبت تحية ملؤها العطف ، وعيناها مغرورتان بالدمع ، وسألتهما من فورهما هل جاء نيا من الآبقين

فأجابتهما جين : « لم يأتنا شيء بعد » .

« وهل والدي في لندن ؟ »

« نعم فقد ذهب إليها يوم الثلاثاء » .

« وهل كتب إليكم كثيراً ؟ »

« لم يكتب إلا مرة واحدة لينبئنا بوصوله وليسرل إلى عنوانه ،

ولم يزد على ذلك إلا قوله إنه لن يكتب إلينا مرة أخرى حتى يكون لديه شيء هام ينبئنا به » .

« وأمنا - كيف حالها ؟ »

« إن أمنا بحال لا بأس بها ، وإن كانت أعصابها شديدة الاضطراب ، وهي لا تزال في الفراش . أما ميرى وكنتى فهما بحمد الله في أحسن حال »

وصاحت إلزبت : « وأنت - كيف حالك أنت ؟ إنك مصفرة الوجه ، ما أشد ما قاسيت ! »

لكن أختها أكدت لها أنها على أحسن حال . وكان هذا الحديث يدور ومستمر جارد رز وزوجته مشغولان بأطفالهما ، فلما اقتربت الجماعة كلها منهما انقطع الحديث .

وذهبوا جميعاً إلى حجرة مسز بنت فاستقبلتهم بالطريقة التي توقعوا أن تستقبلهم بها ، بدموع منهمرة ، وعبارات الأسف ، وطعن في سلوك وكهام الخبيث ، وشكوى من آلامها وسوء معاملتها . وأخذت تلوم كل إنسان إلا من كانت سوء تفهيمها لابنتها أكبر سبب بلا شك في أخطاء هذه الفتاة^(١) .

وقالت : « لو أنني استطعت أن أذهب إلى بريتن مع أمركى جميعهما لما وقع هذا قط . ولكن عزيزتى ليديا المسكينة لم تجد من يعنى بها . مسكينة طفلى العزيزة ! وها هو ذا مستر بنت قد سافر ، وأنا أعرف أنه سيقاتل وكهام ، وسيقتل ، وماذا يحدث لنا نحن بعدئذ ؟ إن آل كلنز سيخرجوننا من هذا البيت قبل أن تبرد جثته

(١) أى الأم نفسها

في قبره ، وإذا لم تشفق علينا أنت يا أخي فلست أدرى ماذا تكون عاقبة أمرنا .

وصاحوا كلهم محتجين على هذه الأفكار المروعة ، وأخبرها مستر جاردنر أنه سيذهب إلى لندن مباشرة ، ويقدم لمستر بنت كل ما يستطيعه من عون في بحثه عن ابنته .

وأجابته مسز بنت : « آه يا أخي العزيز ، إن هذا بالضبط هو ما أرغب فيه أشد الرغبة ، وأرجو حين تذهب إلى المدينة أن تكشف مكانهما حيثما ~~يكونا~~ ، وإذا لم يكونا قد تزوجا قبل أن تجدهما فزوجهما ولا تجعلهما ينتظران حتى تأتيهما ملابس العرس ، بل قل لليديا إنها ستعطى من المال ما تشاء لتشتري به هذه الملابس بعد الزواج . وأهم من هذا كله أن تمنع مستر بنت من القتال ، وحده عن سوء حالي — وقل له إن عقلي يكاد يذهب من شدة الخوف ، وإن جسمي كله يرتعد ، وإن رأسي شديد الألم ، وإن دقات قلبي مضطربة ، وإني لأذوق للراحة طعما بالليل أو بالنهار . وأبلغ ابنتي العزيزة ليديا ألا تصدر أية أوامر خاصة بملبسها قبل أن تراني ، لأنها لاتعرف خيرا لحوانيت التي تبتاعها منها . آه يا أخي ما أكثر شفقتك ! إنني أعرف أنك ستحسن تصريف كل شيء » .

ولم يسمع مستر جاردنر إلا أن ينصحها بالاعتدال في آمالها ومخاوفها على السواء ، وظل الحديث دأراً على هذا النحو حتى هيئ

بالعشاء على المائدة، وتركها لتعني بها مديرة البيت . ومع أن مستر جاردنر وزوجته كانا واثقين من أنه لا ضرورة حقة تدعو لملازمتها الفراش ، فإنهما لم يحاولا قط أن يعارضا في رغبتهما هذه ، لأنهما كانا يعرفان أنها لم تؤت من الحكمة ما يكفي لحملها على أن تمسك لسانها عن الكلام أمام الخدم وهم يخدمونهم على مائدة الطعام .

وانضمت إليهم في حجرة الطعام ميري وكتي وقد منعهما انشغالهما في حجرتيهما الخاصتين أن تظهرا قبل ذلك الوقت أمام القادمين . وقد جاءت إحداها من بين كتبها وجاءت الأخرى من زينتها ، وكانت كلتاها هادئة كثيراً ولا يظهر عليها أى أثر للتغير ، وإن كانت كتي قد صارت أكثر شكاية من مألوف عاداتها ، إما لفقدائها أختها المحببة إليها أو لما صَبَّ عليها من غضب في هذه المسألة .

واستطاعت ابنتا مستر بنت الكبيرتان أن تجدا نصف ساعة تجتمعان فيه وحدهما لتتحدثا في الأمر حديثاً جدياً . وعرفت إلزبت أن سمعة وكهام السيئة قد أخذت تنتشر ، فقد كان الكولونل فورستر يعتقد أنه شخص مشهور مسرف ، وقيل وقتئذ إنه غادر مريتن وهو مشغل بالدين .

« آه يا جين لو أننا لم نكتم السر إلى هذا الحد ، ولو أننا قلنا ما نعرف عنه ، لما حدث هذا » .

« إننا لم نقصد فيما فعلنا إلا الخير » .

ثم أطلعت جين مسز فورستر على خطاب ليديا الذي جاء به
الكولونل معه ، وها هو ذا نصه :
« عزيزتي هريت :

« ستمضجكين حين تعرفين أين ذهبت ، ولا يسعني أنا نفسي
إلا أن أضحك من دهشتك في صباح الغد حين لا تجديني . سأذهب
إلى جرتنا جرين ، وإذا لم تستطعي أن تحزري مع من ذهبت فلا بد
لي أن أظن أنك بلهاء ، ذلك أنه لا يوجد في العالم إلا شخص
واحد أحبه ، وهو ملاك بحق ، ولن أكون سعيدة إلا معه ،
ولهذا لا تظني أن في فرارى معه ضرراً ما . ولا حاجة لك بأن تخبري
من في لنجبورن ، إذا لم تشأني أن تخبرهم ، لأن دهشتهم ستزداد
حين أكتب إليهم وأوقع رسالتى باسم ليديا وكهام ، وما أحسنها من
فسكاهة حين يكون هذا ! أرجو أن تعتدري عني إلى پرات ، لأنني
سأخلف اتفاق بأن أرقص الليلة معه . وسأرسل في طلب ملابسي
حين أصل إلى لنجبورن ؛ ولكني أحب أن تخبري الخادمة بأن تصلح
خرفاً كبيراً في ثوبي الأزرق قبل أن تحزمه . أستودعك الله . بلغني
حي لمسز فورستر ، وأرجو أن تشربي متمنية لنا رحلة طيبة .
صديقتك المحبة ليديا بنت »

ولما فرغت جين من قراءة هذه الرسالة صاحت إلزبت قائلة :
ألا ما أقل عقلك يا ليديا ! ما أقل عقلك ! أي خطاب هذا الذي
تكتبينه في تلك اللحظة ! ولكن أقل ما يدل عليه أنها كانت جادة

في الغرض الذي ترى إليه من رحلتها . مسكين يا أبي ؛ لقد كان وقعه شديداً عليه ! .

« لم أر إنساناً اهتز من هول صدمة كما اهتز هو . لقد ظل عشر دقائق كاملة لا يستطيع النطق بكلمة واحدة ، وأما أمي فقد انتابها المرض في الحال ، وساد الاضطراب المنزل كله » .

وصاحت إلزبت قائلة : « آه يا جين ! هل لنا خادم لم يعرف القصة كلها قبل أن ينقضي اليوم ؟ » .

« لست أعرف ، ولكنني أرجو ذلك ؛ غير أن اصطناع الحكمة في مثل ذلك الوقت من أصعب الأمور » .

« إنك لا تظهر عليك علام الصحة ؛ لقد اضطرت أن تقامى بمفردك كل ما سببه هذا العمل من قلق وانشغال بال » .

« لقد أظهرت كتي وميري كثيراً جداً من الشفقة والرحمة ، وكانتا تريدان من غير شك أن تقاسمانى كل متاعبي ، ولكن كتي ضعيفة البنية وميري تجهد نفسها في الدرس ، ويجب ألا نزعجها في أوقات راحتها ، وجاءت إلينا خالتنا فليس بعد أن ذهب والدنا وأقاربنا وواستنا كثيراً ، وكانت السيدة لو كاس رحيمة بنا أعظم الرحمة ، فقد جاءت إلينا مشياً على الأقدام لتظهر لنا عطفها وتقدم لنا معونتها » .

وصاحت إلزابت : « ليتمها بقيت في دارها ؛ ربما كانت حسنة الفية ، ولكن الإنسان إذا حلت به مثل هذه الكارثة كان في وسعه أن يرى غير قليل مما يضمره جيرانه » .

الفصل الرابع والأربعون

وبدت مريتن كلها وكأنها تتوق إلى التشهير بالرجل الذي أوشك أن يكون من قبل في رأيها ملاكاً من نور ؛ وقيل عنه إنه مدين لكل تاجر في ذلك المكان ، وإنه أحب معظم بنات أولئك التجار ؛ وجهر كل إنسان بأنه أخبث شاب في العالم كله ، وبدأ كل واحد يعتقد أنه كان على الدوام لا يثق بطيبته الظاهرة .

وترددت مسز فليس على آل بنت وقصدها فيما تزعم أن تفرج كرب الأسرة ، ولسكنها لم تأت مرة إلا لتضرب لها مثلاً جديداً على سوء سلوك وكهام ، ولهذا فإنها قلما كانت تغادر المكان من غير أن تترك من فيه وهن أشد كآبة مما كن قبل مجيئها إليهن .

وكانت كل أيام أسرة لتجبورن في هذه الأثناء أيام قلق ، ولسكن أشد ساعات اليوم قلقاً هي الساعة التي كن ينتظرن فيها وصول البريد . غير أن أخباراً ذات بال لم تصل من لندن ، وإن كان خطاب قد جاء باسم أبيهن من جهة أخرى ، من مستر كانز . وكانت حين قد تلقت من أبيها أمراً بأن تفض كل ما يأتي باسمه من رسائل في أثناء غيابه ، ولذلك قرأت الخطاب . وكانت إذئذ تعرف ما في رسائله من غرابة على الدوام ، ولذلك قرأته هي الأخرى . وهذا هو نصه :

« سيدى العزيز :

أرى من واجبي ، بحكم ما بيننا من أواشح القربى وبحكم
مركزى فى الحياة ، أن أعطف عليك فى محنتك الحاضرة ، وهى
محنة لا بد أن تكون من أقسى المحن ، لأن منشأها أمر لا يقوى
الزمن مهما طال على أن يمحو أثره . ولو أن ابنتك قد ماتت لكان
موتها نعمة إذا قيس إلى هذه الكارثة . ومما يزيد من وقعها
أن هناك من الأسباب ما يحمل على الظن بأن هذا المسلك الذى
سلكته ابنتك كان سببه نقص تربيتها المنزلية ، وإن كنت فى
الوقت نفسه أميل إلى الظن بأن أخلاقها سيئة بطبيعتها . ومهما يكن
من هذا الأمر فإن حالك يرئى لها كثيراً ، وهذا رأى لا تشترك
مى فيه زوجتى فحسب بل تشترك فيه أيضاً السيدة كترين وابنتها ،
وهما متفقتان مى على أن هذه الخطوة غير الموفقة سيكون لها أثر سيء
فى حظ بناتك الأخريات جميعهن ، وهل فى الناس من يرضى بأن
تكون له صلة بأسرة هذا شأنها ؟ وهذا الاعتبار يحملنى على التفكير ،
ونفسى راضية كل الرضا ، فى حادثة معينة وقعت فى شهر نوفمبر
الماضى ، ولو أنها قد انتهت على غير ما انتهت إليه لكان لى الآن
نصيب مما أصابكم من أحزان وما ثلوثم به من عار . ونصيحتى لك
يا سيدى العزيز أن تطرح ابنتك العاقبة وراء ظهرك إلى أبد الدهر ،
وأن تتركها لتنال جزاء خبيثها .

ولا زلت يا سيدى العزيز الخ .

واستولى اليأس على مستر بنت آخر الأمر لعدم توفيقه فيما حاوله من اقتفاء أثر ابنته ، ولذلك أنصاع إلى ما طلبه إليه أخو زوجته ، وهو أن يعود إلى أسرته ويترك له أن يفعل ما يراه صالحا . ولما نبئت مسز بنت بهذا لم تظهر من الرضا ما كانت بناتها يتوقعنه منها « ما هذا ؟ أياقنى إلى المنزل دون أن تكون معه ليديا المسكينة ؟ ومنذا الذى يقاتل مستر وكهام ، ويرغمه على الزواج بها إذا عاد هو ؟ » .

ولما كانت مسز جاردنر قد أخذت تتوق إلى العودة إلى منزلها ، فقد غادرت هى وأطفالها لنجيبورن فى العربة التى أرسلت لتأتى بمستر بنت إلى منزله . وغادرت البيت دون أن تقل حيرتها من أمر الزبث وصديقها فى دربى شير عما كانت عليه من قبل .

وعاد مستر بنت ولم يفارقه هدوؤه المألوف . وظل صامتا لا ينطق إلا بالقليل ، ولم يقل شيئا عن الأمر الذى أبعده عن بيته ، ومضى بعض الوقت قبل أن تجرؤ بناته على التحدث إليه فيه .

ولم تجسر الزبث على طرق هذا الموضوع إلا بعد الظهر ، ولما أبدت عطفها عليه قال لها : « لا تتحدثى بشيء عن هذا ، فخذ الذى يتألم له غيرى ؟ لقد كان هذا من عملى ، ويجب على أنا أن أقاسى عاقبته » .

ثم صمت قليلا وواصل حديثه قائلا : « لست غاضبا عليك ، لأنك كنت على حق فيما نصحتنى به فى شهر مايو الماضى » .

ثم قطعت عليهم حين حديثهم ، وقد جاءت لتأخذ لأمها الشاى .
وقال هو : « إن هذا احتفال يفيد الإنسان ! وسأفعل هذا
الفعل نفسه فى يوم آخر ، سأجلس فى حجرة كتي وأحدث من
الاضطراب كل ما أستطيع - أو لعلى أستطيع أن أرجئه حتى
تفر كتي » .

وقالت كتي بنعمة الشاكية : « لن أفريا والدى ؛ ولو قدر لى
أنا أن أذهب إلى بريتن لكان سلوكى خيراً من سلوك ليدى » .
أتذهبين أنت إلى بريتن ! لو أننى أعطيت خمسين جنياً لما
أمنت عليك أن تقتربنى منها ! لا يا كتي ؛ لقد تعلمت على الأقل أن
أكون حذراً ، وستشعرين بأثر هذا الحذر . لن يدخل ضابط
أياماً كان منزلى بعد اليوم . بل لن يمر أحد منهم مجرد مرور فى هذه
القرية ، وحفلات الرقص محرمة عليك إلا إذا راقصت إحدى
أخواتك ، ولن تخرجى من المنزل إلا بعد أن تثبتى أن فى وسعك أن
تقضى عشر دقائق من كل يوم وأنت عاقلة رزينة » .

وأخذت كتي هذه التهديدات جميعها مأخذ الجد وشرعت تبكى
وقال هو : « حسن ؛ حسن ؛ لا تبتئسى ، وإذا ظلمت بنتاً
صالحة طوال العشر السنوات المقبلة ، فسأخذك إلى عرض للجنود
فى آخر هذه السنين العشر » .

الفصل الخامس والأربعون

وبينا كانت چين وإلزبت تمشيان في الحديقة خلف البيت بعد يومين من عودة مسز بنت رأتا مديرة البيت مقبلة نحوهما .
وقالت لچين : « عفوا ياسيدتي إذا قطعت عليكما ما أنتما فيه ،
ولكنني كنت أرجو أنكما قد تلقيتما أخبارا من المدينة فحرّوت على
المجيء لأسأل عنها »

« ماذا تقصدين بهذا ؟ إننا لم تصل إلينا أخبار من المدينة »
وصاحت مديرة المنزل : « ألا تعلمين ياسيدتي العزيزة أن خطابا
قد جاء بالبريد العاجل من مستر جاردنر من نصف ساعة مضت ؟ »
وأسرعت الفتاتان وقد بلغ من شوقهما إلى الوصول إلى المنزل
أنهما لم تجدا لديهما وقتا للحديث . واخترقتا الردهة وهما تجريان إلى
حجرة الإفطار ، ثم خرجتا منها إلى المكتبة ولكنهما لم تجدا أباهما
في واحدة منهما . وأوشكتا أن تبحثا عنه في الدور العلوى مع أمهما
ولكنهما التقتا بكبير الخدم فقال لهما .

« إن كنما ياسيدتي تبحثان عن سيدي فهو يسير على قدميه
نحو الأجمة الصغيرة »

وخرجتا من البيت مرة أخرى على الفور ، وأخذتا تعدوان
فوق الحيلة وراء أبيهما . ولم تكن چين سريعة العدو كالإلزبت ، ولذلك

لم تلبث أن أبطأت في سيرها ، أما أختها فقد لحقته وهى لا تسكاد
تقوى على التنفس من فرط التعب ، ونادته بقوة :

« أى أبى ، ماذا لديك من الأخبار ؟ أطيبه هى أم غير طيبة ؟ »
وأجابها وهو يخرج الخطاب من جيبه : « وأى خبر طيب يمكن
أن ننتظره ؟ ولكن لعلك تحبين أن تقرئيه »

وانترعت إلزبت الخطاب من يده ، وفى هذه اللحظة أدر كتبها حين
وقال لها والدهما : « إقرئى الخطاب بصوت عال »

شارع جريس تشرتش^(١)

فى يوم الاثنين ٢ أغسطس

« أخى العزيز »

« وأخيرا أستطيع أن أبعث إليك ببعض الأخبار . لقد كشفت
ابنة أخى هى والشاب ، ولم يتزوجا بعد ، ولم أتبين أى شاهد على
أنهما يعترضان الزواج ، ولكنك إذا رضيت بأن توفى بالوعود التى
جرؤت على أن أقطعها لهما بالنيابة عنك ، فإنى أرجو ألا يمضى
وقت طويل قبل أن يتزوجا . وكل ما يجب عليك فى هذه الحال هو
أن تتعهد لا بئتك تعهدا قانونيا بأن يكون لها نصيبها كسائر أخواتها
فى الخمسة الآلاف من الجنيهات الموصى بها لبناتك بعد موتك وموت
أختى ، وأن تتعهد فضلا عن هذا بأن ترتب لها فى أثناء حياتك مائة
جنيه فى كل عام . هذا وليست حال مستر وكهام ميثوسا منها كما كان

(١) شارع جريس تشرتش أحد شوارع حى الأعمال فى لندن

يظن ، ويسرني أن أخبرك أنه سيكون لديه قليل من المال يبقى لابتنتنا حتى بعد أن تؤدي ديونه . وليس ثمة حاجة مطلقا تدعو لمحبيك إلى لندن لأنني سأقدم لمحاميك كل ما يلزمه من التفاصيل لتحرير العقد . فأرسل إلى " بردك " على هذا بأسرع ما تستطيع . وقد رأينا أنه يحسن أن تزوج ابنتنا من هذه الدار ، وأرجو أن توافق على هذا الرأي .

المخلص الخ

إدورد جاردنر

« وهل رددت على هذا الخطاب ؟ »
فأجاب : « إنني أكره كثيرا أن أرد عليه ، ولكن لا بد من الرد »
قال هذا ثم عاد مع ابنته وسار نحو البيت .
وقالت إلزبت : « وهل لي أن أسأل ؟ ولكنني أظن أنه يجب أن يوفي بهذه الشروط ، أليس كذلك ؟ »
« أن يوفي بها ! إنني لشديد الخجل لأنه طلب هذا القدر القليل »
« ولا بد أن يتزوجا ! ومع هذا فأى رجل هو ! »
« نعم ، نعم ، وليس ثمة شيء غير هذا يمكن عمله . لكن هناك شيئين أنا شديد الرغبة في مفرقتها — أولهما مقدار مادفعه خالك من المال ليصل به إلى هذه النتيجة ؛ والثاني كيف أستطيع أن أرد إليه مادفعه ؟ » .

وصاحت جين قائلة : « المال ! خالي ! ماذا تعني بهذا يا سيدي ؟ »
« الذي أعنيه أنه لا يوجد إنسان مالك لقواه العقلية يتزوج

ليديا بهذا الإغراء الضئيل ، وهو مائة جنيه في العام مادمت حيا ،
وخمسون جنيه بعد وفاتي .

وقالت إلزبت : « هذا حق لاشك فيه ، وإن لم يكن قد خطر
ببالى من قبل . تؤدي ديونه ، ويبقى بعد ذلك شيء له ! لاشك أن
هذا من صنع خالى . ما أكرمه من رجل وما أطيب قلبه ! إن مبلغا
قليلا من المال لا يمكن أن يؤدي إلى هذا كله ! »

وقال أبوها : « لا ؛ إن وكهام يكون إنسانا أبله لو قبلها بأقل
من عشرة آلاف جنيه ببفس واحد .
« عشرة آلاف جنيه ! لا قدر الله ! وكيف يستطاع الوفاء
بنصف هذا القدر ؟ » .

ولم يجر مستر بنت جوابا ، وظللنا جميعا صامتين غارقين في
في التفكير حتى وصلنا إلى البيت ، ثم ذهب الوالد إلى المكتبة ليرد
على الخطاب .

وصاحت إلزبت قائلة بعد أن صارت هى وأخواتها وحدهن :
« وسيتزوجان حقاً ! ألا ما أغرب هذا ! ومع أن فرصة تمتعهما
باهناء قليلة ، ومع أن أخلاقه سافلة ، فإننا مرغمون على أن نبتهج
آء يا ليديا ! » .

وخطر للبنتين وقتئذ أن أمهما في أغلب الظن لا تزال تجهل كل
الجهل ما قد حدث . ومن أجل هذا ذهبتا لتستاذا أباها في أن
تطلعاها عليه . فأجابهما في هدوء دون أن يرفع رأسه عن الرسالة
التي كان يكتبها :

« افعل ما يروق لكما » .

« وهل تأذن لنا بأن نأخذ خطاب خالنا لنقرأه لها ؟ »

« خذا ما تشاءان وأخرجنا من هنا » .

وبعد أن هيأن ذهن مسز بنت قليلا لسماع أخبار سارة ، قرأتها عليها الخطاب بصوت عال ؛ ولم يكن في وسع أمهما أن تملك حواسها ، فقد كاد قلبها يطير فرحاً بعد الجمل القليلة الأولى ، ولم يقلق بالها أى خوف على سعادة ابنتها ، ولم يضع من قدرها في عينها هي نفسها تذكريها سوء سلوكها .

وصاحت : « تلك أنباء سارة حقاً استزوج وهي في السادسة عشرة ! ما أعظم شوق إلى رؤيتها ورؤية عزيزي وكهام أيضاً ! ولكن الملابس ، ملابس العرس ! سأكتب إلى أختي جاردنر عنها في الحال . دقي الجرس يا كتي وامتدعي الخادمة . سألبس ملابسى على الفور ، سأذهب إلى مريتن بعد أن ألبس مباشرة ، وأبلغ أختي فليس هذا النبأ السار ، وسأعرج في عودتى على السيدة لوكاس والسيدة لنج » .

ثم أخذت تطلع الخادمة على هذا النبأ ، وشرعت هذه من فورها تعبر عن سرورها . وتلقت إلزبت منها التهنية كما تلقى سائر أخواتها ، ثم ملت هذا السخف فأوت إلى حجرتها حتى تستطيع أن تفكر بكامل حريتها .

الفصل السادس والأربعون

طالما تأقت نفس مستر بنت قبل هذا الوقت الذى نتحدث عنه من حياته أن لو استطاع أن يقتصد جزءاً من دخله فى كل عام بدل أن ينفقه جميعه ، وذلك لكي يمد به بناته ويمد به زوجته إذا عاشت بعده . والآن أصبحت هذه الرغبة أشد مما كانت فى أى وقت مضى . ولو أنه أدى واجبه هذا لما كانت ليديا الآن مدينة إلى خالها بما يستطيع ايتياعه لها من مقام أو مال .

وكان مستر بنت فى أول عهده بالزواج يرى أن الاقتصاد لا فائدة منه على الإطلاق ؛ وذلك لاعتقاده أنه سيرزق ولداً بطبيعة الحال ، وحينئذ يجبُ الولد متى بلغ سن الرشد من حبست عليه ثروة مستر بنت ، وبهذا تنال أرملته وأطفاله الآخرون نصيبهم من الثروة . ولكن حدث أن جاء مستر بنت إلى هذا العالم بخمس بنات متتابعات ولما يأت الولد . ثم يئس أخيراً من مجيئه ، وكان أو أن البدء فى الاقتصاد قد مضى . وكانت مسز بنت بطبيعتها مسرفة فى المال ، ولم يمنعها هى وزوجها أن تنفقا أكثر من دخلهما إلا حب زوجها فى ألا يكون كلاً على غيره .

وكان قد رتب لمسز بنت وأطفالها بمقتضى عقد الزواج خمسة آلاف جنيهه ، ولكن النسبة التى يقسم بها نصيب البنات يئسهن

ترك أمرها لإرادة الوالدين وحدهما . وتلك مسألة كان في الاستطاعة
تقريرها الآن بالنسبة لليديا على الأقل ، ولم يتردد مستر بنت في قبول
ما اقترحه عليه صهره . ولم يكن قد ظن في يوم من الأيام أن هذه
المسألة يمكن أن تسوى ولا تكلفه إلا العناء القليل . فالجنهات المائة
التي سيؤديها إلى ابنته ووكهام لا تكاد تنقص من دخله السنوي
عشرة جنيهات ؛ ذلك أن نفقات ليديا كانت تستنفد هذا المبلغ
تقريباً إذا حسبنا ما تتكلفه من مأكل ومشرب ومصروف يد
والهدايا المستمرة التي كانت تهديها إليها والدتها نقداً .

ولهذا كتب إلى مستر جاردنر يبلغه موافقته وشكره ، ولكنه
لم يكتب شيئاً إلى ليديا لشده غضبه منها .

وكان قد مضى أربعة عشر شهراً على نزول مسز بنت إلى الطابق
الأسفل ، ولكنها في هذا اليوم السعيد اتخذت مقعدها مرة
أخرى على رأس المائدة وهي مغتبطة أشد الاغتياب . فلم يكن ثمة
شيء من الخجل يفسد عليها ما نالته من الظفر . وكانت كل أفكارها
متجهة إلى الملابس والعربات والخدم والحصول على بيت يتسع لليديا .
وسمح لها زوجها أن تتحدث دون أن يقاطعها طالما كان الخدم
حاضرين ، فلما أن ابتعدوا قال لها : « اعلمي يا مسز بنت ، قبل أن
تأخذني لابنتك هذه البيوت كلها أو واحدا منها ، أنها لن يسمح لها
قط بدخول هذا البيت على الأقل » .

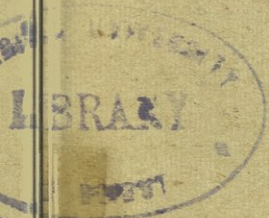
وأعقب هذا القول نزاع طويل ، ولكن مستر بنت ثبت على

رأيه ، وسرعان ما شجر نزاع آخر ؛ ورأت مسز بنت ، وقد استولى عليها الرعب والعجب ، أن زوجها لن يدفع بنفساً واحداً لشراء ملابس لابنته ، وأعلن أنها لن تنال منه في هذه المناسبة أى دليل على عطفه . وآلم مسز بنت ما سوف يلحق ابنتها من العار بسبب حاجتها إلى الملابس الجديدة أكثر مما آلمها ذلك العار الذى يسر بلها بسبب الظروف التى أثمرت هذا الزواج .

وشعرت إلزبت وقتئذ بالأسف الشديد لأن وقع المصيبة عليها ساعة علمت بها قد جعلها تفضى إلى مستر دارسى بما خالجهما من الخوف على أختها ، وذلك لأن زواجهما سيغضى الآن على ما ارتكبه من الخطأ ويخفيه إلا عمن شاهده بعينية . نعم إنها كانت تعلم أن فى وسعها أن تأمنه على هذا السر ، ولكنها فى الوقت نفسه قد أذلها وأحزنها أن يعرف هو نفسه من بين الناس كلهم ما لحق أسرتها من العار .

ولم تسكن تشك فى أن رغبته فى كسب احترامها لن يبق لها أثر بعد هذه الضربة القاضية ؛ وأصبحت الآن تتمنى أن يحسن الظن بها فى الوقت الذى لم يعد لها رجاء فى أن تفيد شيئاً من هذا الظن الحسن ؛ وكانت تتوق إلى أن تسمع أخباره فى الوقت الذى لم يكن فيه لديها أقل احتمال لأن تعرف شيئاً عنه ، وأصبحت واثقة من أنها ستكون سعيدة بزواجه فى الوقت الذى لم يبق فيه أمل ما فى أن تلتقى به .

وكثيراً ما قالت لنفسها إن نصره سيكون بلا شك نصراً
مؤزراً إذا عرف أنها تقبل الآن وهي شاكرة مغتبطة ذلك المرض
الذي رفضته بازدراء وكبرياء من أربعة أشهر لا أكثر !
وبدأت وقتئذ تدرك أنه هو بعينه الرجل الذي يوائمها أشد
الموائمة بفضل أخلاقه وكفايته ، وأن اقترانه بها كان فيه من غير
شك الخير لهما جميعاً ؛ ذلك أن ما في طباعها من يسر وصرح قد
يلطف من عقله ويصالح من طباعه ، وأنها هي قد تستفيد فوائد
عظيمة الشأن من حكمته وعلمه ومعرفته بالعالم .



الفصل الثانى والخمسون

وبعد أسبوع من ذلك الوقت أو نحوه وقفت على حين غفلة .
عربة خارج البيت فى الصباح الباكر قبل أن يحين موعد الزيارات ،
ولم تكن العربة أو زى الخدم من الطراز المألوف . وفر الخطيبان
من فورهما إلى الحديقة وتركوا سائر السيدات لا يدرين من عسى أن
يكون الزوار ، حتى فتح باب العربة ودخلت البيت السيدة كثرين
ده بورج .

وسارت السيدة كثرين وهى تبدو أكثر فظاظة من عاداتها ،
ولم ترد تحية إلزبت بأكثر من إيماءة برأسها ، ثم جلست من غير
أن تنطق بكلمة .

وظلت برهة قصيرة صامئة ثم قالت لإلزبت فى عنف شديد :
« أرجو أن تسكونى بخير يا آنسة بنت . إن هذه السيدة على
ما أظن هى والدتك ؟ » .

وأجابت إلزبت إجابة مختصرة بقولها إنها أمها .
« وتلك فى ظنى إحدى أخواتك » .

وردت عليها مسر بنت قائلة : « نعم يا سيدتى » ، وكانت
إلزبت قد ذكرت لها اسم الزائرة فرأت فى زيارتها شرفاً عظيماً .
وقالت السيدة كثرين بعد صمت قصير : « إن لكم بستاناً
صغيراً هنا ، وما من شك فى أن هذه الحجرة لا تصلح فى الصيف

لأن تكون حجرة جلوس في المساء ، لأن نوافذها غربية محضنة »
وأكدت لها مسز بنت أن الأسرة لا تجلس فيها بعد العشاء ،
ثم أضافت إلى ذلك قولها :

« هل تسمحين لي أن أسأل سيادتك عن مستر كلنز وزوجته ،
وهل هما بخير ؟ » .

« نعم هما بخير جداً » .

وتوقعت إلزبت وقمت أن تقدم لها السيدة كترين رسالة من
شارلوت ، فقد كان يبدو لها أن هذا هو أرجح سبب لهذه الزيارة .
ولكن هذه الرسالة لم تظهر ، وحيرها عدم ظهورها أشد الحيرة .
ورجتها مسز بنت في أدب جم أن تتناول بعض المرطبات ،
ولكنها رفضت هذا بحزم وفي غير أدب كثير ، ثم وقفت السيدة
كترين وقالت لإلزبت :

« إنه ليسرني يا آنسة بنت أن أسير في حديقةكم إذا
تفضلت بمرافقتي » .

وأجابتها إلزبت إلى طلبها . ولما مرا خلال الردهة فتحت
السيدة كترين البابين المؤديين إلى حجرة الطعام وحجرة الاستقبال
وأعلنت أنهما حجرتان لا بأس بهما .

ثم سارتا صامتين إلى الأجمة الصغيرة ، وقد اعترمت إلزبت
ألا تحاول فتح باب الحديث مع امرأة زادت فظاظتها ووقاحتها
عن مألوف عاداتها .

فلما دخلا الأجمة بدأت السيدة كثيرين من فورها حديثها بالطريقة الآتية :

« ليس ثمة يا آنسة بنت ما يحيرك في فهم سبب زيارتي فإن قلبك وضميرك نفسيهما لابد أن يحدثاك عن سبب مجيئي » .
ونظرت إليها إلزبت مندهشة حقاً .

وواصلت السيدة حديثها بلهجة الغضب قائلة : « يجب أن تعرفي يا آنسة بنت أنني لست ممن يطقن العبث بمعهن ، لقد نقل إلى من يومين نبأ مروع أشد الارتياح ، إذ بلغني أنك أنت يا آنسة إلزبت ستقترنين في أغلب الظن بابن أختي ، ابن أختي أنا . ومع أني أعرف أن هذا كذب شائن مرذول فقد اعتزمت من فوري أن آتي إلى هنا حتى أبلغك ما أشعر به » .

وقالت لها إلزبت وقد امتقع وجهها من فرط الدهشة والازدراء : « إذا كنت قد اعتقدت أن هذا مستحيل فإني أعجب لم تجشمت مشقة المجيء إلى هنا » .

« إن هذا يا آنسة بنت شيء لا يطاق ، وأنا أصر على أن أعلم الحقيقة ، فهل عرض عليك ، هل عرض ابن أختي عليك أمر زواجه بك ؟ » .

« لقد قلت سيادتك أن هذا مستحيل » .

« يا آنسة بنت هل تعرفين من أنا ؟ إن عليك أن تفهميني حق الفهم ، إن مستر دارسي خطيب ابنتي ، والآن ما قولك في هذا ؟ »

« لست أقول أكثر من هذا - إذا كان الأمر كذلك ، فليس لديك من الأسباب ما يحملك على الظن بأنه سيعرض على أن أتزوجه » وترددت السيدة كترين برهة قصيرة ثم أجابتها بقولها :
« إن الاتفاق الذى بينهما اتفاق ذو صفة خاصة . إن النية معقودة منذ طفولتهما على أن يتزوجها ، لقد كانت هذه هى الرغبة التى ينطوى عليها قلب أمه وقلبي أنا نفسى . أليس لديك احترام لرغبات أقاربه ؟ »

« ولكن ما شأنى أنا وهذا ؟ إليس فى وسع مستر دارسى أن يختار غيرها إذا شاء ؟ وإذا وقع اختياره على فلان لا أقبله ؟ »
« لا أريد أن يقاطعنى أحد ! فاستمعى إلىَّ وأنت صامتة . إن ابنتى قد وجدت لابن أختى ، ووجد ابن أختى لابنتى . إنهما نيبيلان بحق المولد والثروة . وأى شيء يحول بين اقترانهما ؟ أيحول بينه طمع فتاة لا مركز لها ولا مال ؟ »
« إن ابن أختك سيد كريم وأنا ابنة سيد كريم » .

« ولكن ماذا كانت أمك ؟ ومن أخوالك وخالاتك ؟ أظنننى أنى أجهل أحوالهم ؟ »

وردت عليها إلزبت بقولها : « إذا كان ابن أختك لا يعترض على هذه الأحوال فليس يعنيك أنت من أمرها شيء » .
« خبرينى ، هل خطبت له ؟ »

ولم يكن فى وسع إلزبت إلا أن تقول : « لم أخطب » ، وحينئذ ظهرت على السيدة كترين دلائل الارتياح .

« وهل تعديني ألا ترتبطي معه بهذا الرباط ؟ » .

« لا أعدك بشيء من هذا القبيل » .

« يا آنسة بنت ! إن هذا شيء لا أطيقه . إني أعرف كل شيء عن أختك الصغرى . فهل تكون بنت كهذه أختاً لزوج ابنتي أختي ؟ وهل يكون زوجها وهو ابن خادم أبيه عديله ؟ ^(١) »

وردت عليها إلزبت بغيظ وحدة : « لن يكون في وسعك الآن أن تقولي أكثر مما قلت . لقد وجهت إلى كل ما تستطيعين من إهانة ، ولا يسعني إلا أن أرجو أن أعود إلى منزلي » .

وانتفضت واقفة وهي تقول ذلك ، ووقفت أيضاً السيدة كثيرين وهي غضبي أشد الغضب ، وظلت تتحدث بهذه اللجة عيناها حتى وصلتا إلى باب عربتها ، وهنا التفتت إليها من فورها وقالت لها : « إني لا أستأذنك في الانصراف يا آنسة بنت ، ولا أرسل تحياتي إلى أمك فلست جديرة بمثل هذه الرعاية ، إني غضبي أشد الغضب » ولم تجب إلزبت بشيء بل سارت في هدوء نحو البيت ، وقابلتها أمها في غير صبر وقالت لها : « هل كان لديها شيء تقوله لك يا لزي ؟ » واضطرت إلزبت أن تسمح لنفسها بقليل من الكذب في هذه المسألة ، فقد كان من المستحيل عليها أن تصدقها القول عن الحديث الذي دار بينهما .

(١) العديل المعادل ولم نر ما يمنع إطلاق هذا اللفظ على كل من رجلين تزوجا أختين .

الفصل الثالث والخمسون

وكانت هذه الزيارة الغريبة منشأ اضطراب لازم إلزبت بعض الوقت ، وحيرها أن تتصور منشأ الإشاعة التي ذاعت عن خطبتها المزعومة ، اللهم ألا أن يكون مصدرها حديث جرى على الألسنة عقب أخبار چین وبنجلى . ولم يكن يسمها إلا أن تشعر ببعض القلق من عواقب تدخل السيدة كثيرين في الأمر ، لأنها لم تسكن تعرف مبلغ سلطانها على ابن أختها . فإذا كان لديه شيء من التردد قبل فإن حجج خالته لا بد أن تحسم الأمر فتقضى على كل تردد .

وقالت في نفسها : « فإذا جاء منه اعتذار لصديقه عن عدم عودته في خلال بضعة أيام قليلة ، فإنني في هذه الحال لا يبقى لي أمل في ثباته على حبه » .

وبينا هي نازلة إلى الطابق الأسفل في صباح اليوم الثاني التقت بأبيها وكان خارجا من مكتبته وفي يده رسالة .

وقال لها : « لقد خرجت لأبحث عنك يا لزي ، تعالى إلى حجرتي » . ودخلت الحجرة خلفه وجلسا كلاهما . ثم قال لها :

« لقد تلقيت في هذا الصباح رسالة خاصة بك أذهشتني . إنني لم أكن أعرف إن لي ابنتين توشكان أن تتزوجا . فاسمحي لي أن أهنيك على مانلت من نصر خطير » .

وفي هذه اللحظة احمرت وجنتاها من الخجل ، حين اعتقدت أن الرسالة لم تكن من الحالة بل من ابن أختها . وأضاف إلى ذلك قوله :
« يبدو أنك تشعرين بحقيقة أمرك ، ولكنني واثق من أنك لا تستطيعين أن تحزري اسم المعجب بك . إن هذه الرسالة من مستر كلنز » .

« من مستر كلنز ! وأى شيء لديه يمكن أن بقوله ؟ »
« هو يبدأ بالتهنئة بخطبة حين ثم يستمر قائلاً : (ويقال إن ابنتك إلزبت ستتخلى بعد قليل عن اسم بنت ، والرجل الذي اختارته الأقدار شريكاً لها رجل لحظته العناية بكل حظ عظيم ، في ثروته ، وأهله ، وسعة نفوده . على أني أرجو أن تسمح لي بأن أحذرك وأحذر قريبتي إلزبت — رغم هذه المغريات — من الخطر الذي تعرض له إذا قبلت ما يعرضه عليها هذا السيد . فهل لديك فكرة يالزى عمن عسى أن يكون هذا السيد) ستعرفينه الآن : (إن خالته السيدة كثيرين ده جورج لا تنظر إلى هذا القران بعين الرضا) فالرجل إذن هو مستر دارسى . وأظن يالزى أني قد أخذتك الآن على غرة . فهل كان في وسع كلنز أن يختار رجلاً هو أقل الناس احتمالاً للتقدم إليك ؟ أيتقدم إليك مستر دارسى الذي لم يلق عليك — على ما أعتقد — نظرة واحدة في حياته ؟ »
وحاولت إلزبت أن تشارك أباه في مزاحه ، ولكن كل

ما وسعها أن تفعله هو أن تبقسم ابتسامة مكرهة عليها لأن فكاهاته
لم تكن في يوم ما أبغض لها منها في ذلك الوقت .

« ألا تجدين في هذا تسليمة لك ؟ »

« بلى ! أرجو أن تستمر »

« ثم واصل قوله : (ورأيت من واجبي أن أبلغ قريبتي هذا
النبا على الفور حتى لا تعجل هي والرجل النبيل الذي أعجب بها على
عمل ما) ، ثم يزيد على ذلك قوله (وإنى لمعتبط حقاً لأن أمر ليديا
المحزن قد كتم أشد السكتان . على أنى لا يسمنى أن أهمل ما يحتمه على
مركزى من واجبات ، ولا بد لي من أن أجهر بدهشتى حين أسمع
أنك استقبلت الفتى والفتاة في دارك . إن عليك دون شك أن تعفو
عنها ، ولكن عليك أيضا ألا تقبل أن تنظر إليهما بعينيك أو
تسمع اسميهما يذكران لك) . إن ذلك هو العفو في رأيه ! ولكن
يبدو عليك بالزى أنك لم تسرى بهذا . أرجو ألا تكونى قد هممت
بأن تدعى أن إهانة لحقتك من جراء هذه الإشاعة التافهة . وما
الغرض الذى نعيش من أجله إذا لم نكن هدفاً لعبث جيراننا ، ولم
نضحك نحن عليهم في نظير هذا ؟ »

فأجابته إلزبت : « إن هذا يطربنى إلى أقصى حد »

« نعم ، ولو أنهما وقع اختيارهما على أى رجل آخر لما كان
للأمر شأن ما ، أما وهو لم يظهر شيئاً من العناية بك ، وأنت
تكرهينه كرها شديداً ، فإن هذا الذى يقال سخييف سخافة يسر

لها الإنسان . وأرجوك أن تخبريني بالزى ما الذى قالته السيدة
كثيرين عن هذه الإشاعة ؟ فهل جاءت لتعلن عدم رضاها ؟ »
ولم تجب ابنته عن هذا السؤال بشيء غير الضحك . ولما كان
والدها قد ألقى عليها السؤال من غير أن يظهر عليه شيء من الريبة
فإنها لم ترتبك حين أعاده على مسامعها . ولم تسكن الزبث فى يوم ما
أشد عجزا عن إخفاء مشاعرها وإظهارها على غير حقيقتها منها فى
ذلك الوقت . فقد كان عليها أن تضحك فى الوقت الذى كان يصح
لها أن تبكى فيه . لقد أذلها والدها إذلالا خاليا من كل رحمة حين
أشار إلى عدم عناية مستر دارمى بها ، وكانت تخشى أن تكون قد
أكبرت من هذه العناية فوق مايجب ، لا أن يكون والدها قد رأى
منها أقل مايجب أن يراه .

الفصل الرابع والخمسون

واستطاع مستر بنجلى أن يحضر معه صديقه مستر دارسى إلى
لنجهورن قبل أن تمضى أيام كثيرة بدل أن يرسل رسالة اعتذار من
هذا الصديق كما توقعت إلزبت . وأقبل الرجلان مبكرين ، واقترح
بنجلى أن يخرجوا جميعاً ليسيروا فى الخلاء مشياً على الأقدام . ولم تكن
مسز بنت ممن اعتدن المشى ، ولم تجد ميرى متسعاً من الوقت للخروج ،
ولكن الخمسة الآخرين خرجوا جميعاً . على أن بنجلى وجين تركا
سائر الجماعة يسبقونهما ، وبقيت إلزبت وكتى ومعهم دارسى يحيى
بعضهم بعضاً .

وأرادت كتى أن تعرج على آل لوكاس ، فلما تركت الاثنين
الآخرين سارت إلزبت وحدها مع دارسى فى جراءة .

وكانت قبل ذلك الوقت قد صممت على أمر خطير ، ورأت أن
هذه هى اللحظة التى تستطيع فيها تنفيذ ما صممت عليه فقالت :
« إني يا مستر دارسى فتاة أنانية ، ولا يهمنى أن أخرج
عواطفك فى سبيل إراحة عواطفى . وليس فى وسعى بعد الآن
أن أكتب شكرى لك جزاء عطفك على أختى المسكينة عطفاً
منقطع النظر » .

وأجاب دارسى بלהجة الدهشة والانفعال : « يؤسفنى ما نقل

إليك مما عساه أن يكون قد سبب لك بعض المتاعب خطأ في فهم معناه » .

لا تلق اللوم على زوجة خالي . إن ليديا بطيشها هي التي أفشت السر أولاً ، لم يكن في وسمى بطبيعة الحال أن أسترىح حتى عرفت تفاصيل الأمر . فاسمح لي أن أقدم شكري مراراً وتكراراً بالنيابة عن أسرتي جميعها » .

فأجابها بقوله : « إذا كان لا بد أن تشكربني فليكن شكرك لي عن نفسك وحدك . أما أسرتك فليست مدينة لي بشيء منه . وإنني ، وإن كنت أجملها ، لأعتقد أنني لم أفكر إلا فيك أنت » .

وارتبتك إلزبت فلم تستطع أن تقول شيئاً . وواصل رفيقها الحديث بعد صمت قصير : « لقد بلغت من السكرم حدّاً لا يصح معه أن تعبث بي . فإذا كانت عواطفك لا تزال كما كانت في شهر إبريل الماضي فقول لي ذلك من فورك . أما أنا فحبي ورغباتي لم تتبدل ، وإن كلمة منك لتلزمي الصمت في هذا الموضوع إلى أبد الدهر » .

واضطرت إلزبت وقتئذ إلى الكلام ، وأفهمته لساعتها أن عواطفها قد طرأ عليها بعد ذلك الوقت من التغير الكبير ما يحملها على قبول تأكيده هذا بالشكر والسرور . وكانت السعادة التي غمرته حين سمع هذا الجواب سعادة لم يشعر بمثلا من قبل قط على الأرجح . وعبر في هذا الوقت عن عواطفه بالحرارة التي يستطيع بها المحب الوطنان أن يعبر عن هذه العواطف .

وظلا سائرین دون أن يعرفا في أي اتجاه يسيران ، فقد كان ليهما من الأفكار والعواطف والأقوال ما يشغلهما عن الالتفات إلى أي شيء آخر ، وسرعان ما عرفت أنهما مدينان بما قام بينهما وقتئذ من تفاهم حسن إلى جهود خالته السيدة كثرين ، فقد زارته فعلا لتقص عليه قصة رحلتها إلى لنجبورن وحديثها مع الزبث ، ولكن قصتها وحديثها كان لهما من الأثر عكس ما كانت تريده منهما .

وقال لها : « لقد بعثت في من الأمل ما لم أكن أسمح لنفسى من قبل بأن أطمع فيه . ذلك أنى كنت أعرف من أخلاقك ما يؤكدلى أنك لو كنت مصممة كل التصميم على رفض طلبى لاعترفت إلى السيدة كثرين بكل شيء جهره » .

وامتقع لون الزبث وضحكت وهى تجيبه بقولها : « نعم لقد عرفت من صراحتى ما يجعلك تعتقد أنى قادرة على ذلك . فبعد أن عبتك فى وجهك هذا العيب الذى استجى منه الآن ، لم أكن لأتردد قط فى أن أعيبك أمام أقاربك »

وماذا قلت فى غير ما أستحق ؟ نعم إن ما وجهت إلى من تهمة كانت على غير أساس ، ولكن مسلكتى معك كان وقتئذ مما لا يجوز الصفع عنه . لقد كنت شخصا أنا نيا طول حياتى . ولقد أفسدنى والدائى مع الأسف الشديد لأنى أنا ابنتهما الوحيد . نعم إنهما كانا والدين صالحين ، ولكنهما شجعانى على أن أكون إنسانا مزهوا ، وأن أحتقر العالم كله حين أفكر فيه . هذا ما كنته وهذا ما كان

يَحْتَمِلُ أَنْ أَكُونَهُ حَتَّى الْآنَ لَوْلَاكَ يَا إِلْزَبِثْ يَا أَجْمَلَ النَّاسِ وَأَعْزَمَهُمْ
عِنْدِي ! لَقَدْ أَتَقَيْتُ عَلَى دَرَسَا قَاسِمَا فِي أَوَّلِهِ بِلَا شَكٍّ ، وَلَسَكُنِي
أَفْدَتُ مِنْهُ أَعْظَمُ فَائِدَةٍ . فَقَدْ أَظْهَرْتُ لِي أَنَّ كُلَّ مَا ادَّعَاهُ لِنَفْسِي لَمْ
يَكُنْ يَكْفِي لِأَنْ يَسِرَ الْمَرْأَةُ الْجَدِيرَةَ بِأَنْ يُسَمَّى لِسِرِّهَا «
« إِنِّي لَا كَادَ أَخْشَى أَنْ أَسْأَلَكَ عَمَّا اعْتَقَدْتَهُ فِي حِينِ التَّقِينَا فِي
عَمْرِي . هَلْ عَبْتَ عَلَى مَحِيئِي ؟ »

« لِعَمْرِي لَمْ أَعْبِهِ ، إِنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ غَيْرِ الدَّهْشَةِ » .
« وَأَقْرَأُنِي لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ أَنْ تَسْتَقْبِلَنِي ذَلِكَ الْاِسْتِقْبَالَ الْحَسَنَ »
وَأَجَابَهَا دَارْسِي بِقَوْلِهِ : « لَقَدْ كَانَ قَصْدِي أَنْ أَظْهَرَ لَكَ ، بِكُلِّ
مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْدِمَهُ لَكَ مِنْ رِعَايَةٍ ، أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَقْدُ عَلَيْكَ قَطُّ ،
وَكَفْتُ أَرْجُو أَنْ أَنَالَ صَفْحَكَ ، وَأَنْ أَقْلَلَ مِنْ سُوءِ ظَنِّكَ بِي ،
وَذَلِكَ بِأَنْ أَظْهَرَ لَكَ أَنِّي أَحَاوِلُ إِصْلَاحَ عَيُوبِي » .
وَبَعْدَ أَنْ سَارَا عِدَّةَ أَمْيَالٍ عَلَى مَهْلٍ عَرَفَا مِنْ النَّظَرِ إِلَى سَاعَتَيْهِمَا
أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِلْعُودَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ لِمَسْتَرٍ بِنَجْلِي وَلِجِينِ ؟ وَنَقَلَتْهُمَا
هَذِهِ الْفِكْرَةَ إِلَى الْبَحْثِ فِي شَأْنِهِمَا . وَأَظْهَرَ دَارْسِي عَظِيمَ سِرِّهِ
مِنَ الْمَهْدِ الَّذِي تَعَاهَدَا عَلَيْهِ .

وَقَالَتْ إِلْزَبِثْ : « لَا بَدَلَ لِي أَنْ أَسْأَلَكَ هَلْ عَجِبْتَ مِنْ هَذَا ؟ » .
« لَا ، لَمْ أَعْجَبْ مِنْهُ قَطُّ . إِنِّي حِينَمَا رَحَلْتُ كُنْتُ أَشْعُرُ بِأَنَّ ذَلِكَ
لَا بَدَ وَاقِعٌ » .

« أى أنك قد أذنت به » . ومع أنه قد صاح مندهشاً من هذه الفكرة ، فقد وجدت هي أنها تكاد تكون الحقيقة كاملة .

« لقد اعترفت له قبل سفرى بأنى نصيحته نصيحة خاطئة ، وأنى كنت على غير حق حين ظننت أن أختك لا تعنى به » .

« وهل كان قولك هذا مستمداً من مشاهداتك نفسها أو مما قلته لك في الربيع الماضى دون غيره ؟ »

« من مشاهداتى . لقد راقبت أختك مراقبة دقيقة فى أثناء الزيارتين اللتين جمّت فيهما أخيراً إلى هذا المكان ، وتأكّدت فيهما من عواطفها نحوه » .

وكانت إلزبت تتوق لأن تقول إن مستر بنجلى من الطف الأصداء ؛ وإنه سهل الانقياد ، ولكنها أمسكت لسانها عن هذا القول . لقد ذكرت أنه لم يتعلم بعد أن يقبل ضحك الناس عليه ، وأن الوقت لم يحن لأن يبدأ يتعلم هذا .

وظلا يتحدثان حتى وصلا إلى البيت وافترقا فى الردهة .

الفصل الخامس والخمسون

ولم تكذب لالزبت تدخل الحجرة حتى بادرتها حين بقولها :
« إلى أى مكان كنت تسيرين يا عزيزتى لزي ؟ » ، كما سألهما السؤال
عينه سائر الجماعة حين جلسوا إلى المائدة . ولم يكن فى وسمها
إلا أن تقول لهما ظلاً يتجولان حتى ضل الطريق . وامتقع لونها
وهى تتحدث ، ولكن أحداً لم تجل بخاطره أية فكرة عن
حقيقة الأمر .

ومرت السهرة فى هدوء ، ذلك أنه لم يكن من طبيعة دارسى
أن يعبر عن سروره بالمرح العظيم ، وأن لالزبت كانت مشغولة بالتفكير
فيما تحس به أسرتها حين تعرف كل شيء .
وفى المساء كشفت ليجين عما يكنه قلبها .

« إنك تهزئين يا لزي . أخطبت لستر دراسى ! لا ، لا ، إنك
لن تستطيعين أن تخدعيني ! إني أعرف أن هذا مستحيل » .
« ولكنى فى الحقيقة جادة ولا أقول إلا حقاً » .
« لا يا لزي ، إني أعرف مبلغ كرهك إياه » .
« ذلك ما يجب أن ينسى كله ، ولعلنى لم أكن أحبه دائماً بقدر
ما أحبه الآن » .

« ولكن هل أنت واثقة - عفواً إذا سألتك هذا السؤال -

هل أنت واثقة كل الثقة من أنك تستطيعين أن تسعدى بزواجه ؟
« لا يمكن أن يكون هذا موضعاً للشك . ولكن هل أنت
مسرورة يا جين ؟ » .

« مسرورة كل السرور وأعظمه . لا شيء يمكن أن يسر بنجلى
أو يسرنى أكثر من هذا . أى لى ! هل أنت واثقة من أنك
تشعرين بما يجب عليك عمله ؟ » .

« إننى لا أخشى أن تظنى أنى أشعر بأكثر مما يجب على أن
أشعر به حين أحدثك عن كل شيء » .
« أى شيء تقصدين ؟ » .

« نعم ، يجب على أن أقر بأنى أحبه أكثر مما أحب بنجلى ،
وأخشى أن يفضبك هذا القول » .

« يا أختى العزيزة ، دعك من المزاح وكونى جادة . هل
تخبرينى من أى وقت مضى أحبيته ؟ » .

« اعتقد أنى يجب أن أرجع بداية حبي أياه إلى الوقت الذى
رأيت فيه أول مرة حداثته الجميلة فى ممرلى » .

وطلبت إليها أختها مرة أخرى أن تكون جادة ، وكان لهذا
الطلب الأثر المرغوب ، وسرعان ما أقنعت جين بصدقها .

وحدثها إلزبت عن أسباب كتمانها الأمر من قبل ، وعن
عواطفها التى لم تكن مستقرة ، وعن عدم رغبتها فى ذكر اسم بنجلى ،

وهو ما لم يكن في وسعها أن تتجنبه إذا تحدثت عن لقاء دربي شير .
وأمنت الأختان نصف الليلة تتحدثان .

وقالت مسز بنت وهي واقفة عند النافذة في صباح اليوم الثاني :
« رباه ! ليت مستر دارسى هذا الرجل البغيض لا يأتي إلى هنا
مرة أخرى مع عزيزى بنجلى ! ماذا يمكن أن يكون قصده من
مضايقتنا إلى هذا الحد ؟ ينبغي لك بالزى أن تخرجى معه مرة أخرى
حتى لا يعترض طريق بنجلى » .

ولم يسع إلزبت ألا أن تضحك لهذا الاقتراح الذى يوافقها
كل الموافقة ، ولكنها مع ذلك قد ساءها أن تتحدث أمها عنه
بهذه اللهجة .

ولم تكد الجماعة تدخل الدار حتى نظر بنجلى إلى إلزبت نظرة
ذات مغزى ، وهز يديها بحماسة لم تترك لديها شكاً في أنه قد عرف
الأمر . ولم يلبث أن قال بصوت عال : « أليست لديك يا مسز بنت
طرق ريفية حول هذا المكان يمكن أن تضل فيها لزي مرة أخرى
في هذا اليوم ؟ »

وأجابه مسز بنت بقولها : « إنى أشير على مستر دارسى ، ولزى ،
وكتى أن يسيرو جميعاً إلى جبل أوكهام في هذا الصباح ، فهى زهرة
طويلة جميلة ، ولم ير مستر دارسى هذا المنظر قط من قبل » .

وقال بنجلى : « إنى واثق من أن الطريق أشق مما
تستطيعه كتى » .

ووافقت كتي على أنها تفضل البقاء في المنزل . ولما صعدت
إلربث إلى الطابق الأعلى لتستعد للخروج ذهبت أمها في أثرها
وقالت لها :

« إني يؤسفني يالزى أن تصحبي وحدك هذا الرجل الفظ ،
ولكنك تعلمين أنك إنما تفعلين هذا كله من أجل جين ولا حاجة
لك بأن تسكلميه إلا بين الفينة والفينة ، ولهذا لا تضايقي نفسك » .
واتفقا في أثناء سيرهما أن يطلبها في المساء إلى مستر بنت أن
يوافقي على الخطبة . وقالت إلربث إنها ستطلب هي موافقة أمها .

ولما انفرد مستر بنت بنفسه في مكتبته في مساء ذلك اليوم ذهب
إليه مستر دارسى من فوره . وبلغ انفعال إلربث في ذلك الوقت
غايبته . إنها لم تكن تحشى أن يعارض أبوها في هذا الزواج ، ولكن
الذي أقلق بالها أن تكون هي ، أحب بناته إليه ، سببا في شقائه
باختيارها دارسى زوجها . ولكنها سرى عنها هذا القلق ابتسامة
من مستر دارسى وهو عائد من عنده حين قال لها همسا . « أذهبي
إلى أبيك » . فذهبت إليه على الفور .

وكان أبوها يسير في الحجرة جيئة وذهابا وآثار الحيرة والقلق
بادية عليه ، فلما أقبلت عليه قال لها : « ماذا تفعلين يالزى ؟ هل
جنفت حتى قبلت هذا الرجل ؟ ألم تكوني كارهة له على الدوام ؟ » .
وما أشد ما كانت تتمنى وقتئذ أن لو كانت أراؤها السابقة أكثر
انطباقا على العقل مما كانت ، وأن ألفاظها كانت أكثر اعتدالا .

ولمّا ذن لوفر ذلك عليها إيضاحاً ما كان أثقله . وأكّدت له في شيء
من الارتباك قوة عواطفها نحو مستر دارسى .

« ومعنى هذا أنك مصممة على الزواج به . إنه موسر بلا شك ،
وفى وسعك أن يكون لك ملابس وعربات أجمل من ملابس جين
وعرباتها ، ولكن هل توفر لك السعادة هذه الملابس والعربات ،
إننا جميعاً نعرف أنه رجل متكبر غير ظريف » .

فأجابته وعيناها مغرورقتان بالدموع : « إني أحبه ، إني أحبه
حباً أكيداً . والحق أنه ليس فيه كبرياء غير جدير به . إنك لا تعرفه
على حقيقته » .

وقال لها أبوها : « يالزى ، لقد وافقت ، ولكنى أنصحك أن
تفكرى في الأمر خيراً مما تفكرين الآن . إني أعرف طبعك يالزى ،
إني أعرف أنك لا تسعدين إلا إذا احترمت زوجك بحق . ولست
أريد يا ابنتى أن أشقى بأن أراك أنت غير قادرة على أن تحسنى الظن
بشريك في الحياة » .

وأخيراً استطاعت أن تتغلب على أفكار أبيها وتحمله على
الرضا بهذا القران ، وذلك بتأكيدها له صراحة أن دارسى هو الرجل
الذى اصطفت له لنفسها بحق ، وبما شرحته له من تبدل عواطفها
شيئاً فشيئاً ، وبما تبينته بالدليل من ثباته على حبه ، وبما قصته
عليه في حماسة من صفاته الطيبة . وأرادت أن تستكمل الصورة

الطيبة التي انطبعت في عقله منه فقصت عليه ما فعله مستر دارسى من أجل ليديا .

فلما فرغت من كلامها قال لها : « حسن إذن يا عزيزتى ، إذا كان ما تقولينه حقا ، فهو جدير بك . ولم يكن في مقدورى بالزى أن أفارقك لشخص أقل منه قدراً » .

ثم تذكرت بعدئذ ما حدث لها من ارتباك قبل بضعة أيام حين قرأ لها خطاب مستر كلنز ؟ وبعد أن ضحك عليها بعض الوقت سمح لها بالانصراف وقال لها وهي تغادر الحجرة : « إذا جاء شاب يطلب ميرى أو كتي فأدخليه ، لأن لدى من الوقت ما يتسع للقائه » .

وارتفع عن كاهل إلزبت وقتئذ عبء ثقیل ، وبعد أن قلبت الأمر في عقلها وهي في حجرتها قرابة نصف ساعة ، كان في وسعها أن تنضم إلى سائر الجماعة ، وهي هادئة النفس هدوءاً لا بأس به .

ولما ذهبت أمها إلى حجرة ملابسها أثناء الليل تبعها وأطلعنها على النبأ الخطير . وكان تأثيره فيها عجيبيّاً أعظم العجب . ذلك أن مسز بنت حين سمعته جلست صامئة لا تقوى على النطق بكلمة . ومضت دقائق كثيرة ، وكثيرة جداً ، قبل أن تدرك معنى ما سمعته . ثم أخذت تستعيد شعورها ، وتتحرك في مقعدها ، وتقوم واقفة ، ثم تعود فتجلس ، وتعجب وتطلب الرحمة لنفسها .

« يا لطيفا بعباده ! ارحمنى يا إلهى ! فكرى ! مستر دارسى ! منذ الذى كان في وسعه أن يظن هذا ! أى حبيبتي لزى ما أكثر ما

ستفالن من الثروة والعظمة ! وما أكثر ماسيكون لك من الجواهر
والعربات ! إن ماستناله حين لا يعد شيئاً إذا قيس به - لا يعد شيئاً
مطلقاً . ما أرق هذا الرجل ! وما أجمله ! ما أطول قامته . أى عزيزتى
لذى ! سيكون لك بيت فى لندن ! ثلاث بنات يتزوجن ! ودخلك
عشرة آلاف فى العام ! أى إلهى ، ماذا عسى أن يصيبني ؟
إنى سيطير لى »

وكانت لذى تخشى من سلوك أمها فى حضرة مستر دارسى ،
ولكن مسز بنت كانت لحسن الحظ ترهب زوج بنتها القبل رهبة لم
تجرؤ معها على أن تتحدث إليه طوال اليوم الثانى ، اللهم إلا أن
يكون الحديث لإظهار شواهد من الرعاية والاحترام .
وسر الزبث أن ترى أباه يعنى بالتعرف إليه ، وسرعان ما أكد
لها مستر بنت أن الرجل يعظم قدراً لديه فى كل ساعة .

الفصل السادس والخمسون

ما كان أسعد هذا اليوم الذي أُشبت فيه عواطف الأمومة في مسز بنت ، يوم أن تزوجت ابنتها اللتان كانتا أعظم بناتها قدرا . وفي وسع القارى أن يحزر مبلغ فخرها وبهجتها وهي تزور بعدئذ مسز بنجلى وتتحدث إلى مسز دارسى . وليتنى أمتطيع أن أقول لكراماً لأمرتها إن تحقق رغبته قد جعلها أصرأ عاقلة في المدة الباقية لها من حياتها ، وإن كان من أسباب التسلية لزوجها أنها كانت لحسن الحظ تصاب من حين إلى حين باضطراب في أعصابها ، وأنها كانت على الدوام مسخيفة في تفكيرها .

وشعر مستر بنت بحرمانه من ابنته الثانية شعوراً قويا إلى أقصى حد . وكان حبه إياها يخرجها من البيت أكثر مما يخرجها أى سبب سواء ، فقد كان يسره أن يرحل إلى مبرلى وبخاصة حين لا يكاد يكون من فيه يتوقعون قدومه .

ولم يبق مستر بنجلى وچين في نذر فيلد أكثر من اثني عشر شهرا . ذلك أن قرب چين من أمها لم يكن مما يلائمها ، رغم طبعه الهادى وقلبها الرقيق الحنون . ثم اشترى بنجلى ضيعة في درى شير ، فكان من أسباب سعادة چين والزيت فضلا عن الأسباب الأخرى ، أنهما لم تكونا يعيدتين إحداهما عن الأخرى أكثر من ثلاثين ميلا .

وكانت كنى تقضى معظم وقتها مع أختها ، وكان عملها هذا من أفيد الأمور لها . فقد تحسنت أحوالها تحسناً كبيراً بوجودها فى مجتمع أرقى من المجتمعات التى تغشاها عادة . ولم تكن كنى ذات طبع جامع كأختها ليديا ، ولما بعدت عن تأثير ليديا والاقتداء بها ، أصبحت أقل تذمراً وأقل جهلاً مما كانت قبل . ولم يكن أبوها يأذن لها بالذهاب إلى مسز وكهام ، وإن كانت هذه كثيراً ما دعته إلى الذهاب إليها والإقامة معها ، ووعدتها بحفلات الرقص والشبان . ولم يبق فى المنزل من البنات إلا ميرى . وكان عليها بطبيعة الحال أن تبتعد عن متع الحياة لأن مسز بنت لم تكن تستطيع البقاء وحدها . واضطرت ميرى نفسها إلى الاختلاط بالعالم أكثر من دى قبل . ولما كانت أخواتها الأجل منها لم يبقين معها ليفاضل الناس بينها وبينهن ، فإنها لم تكن تستنكف من هذا الاختلاط .

أما ليديا ووكهام فلم يطرأ على أخلاقهما شيء من التبدل . وقد صبر فى هدوء على علمه بأن الزبث لابد أن تلم الآن إلماً تاماً بماضيه . ولم ييأس هو وليديا من أنه لا يزال فى الإمكان إقناع دارسى بأن يهوى له أسباب الثراء . وكثيراً ما كانت إلزبث ترسل إليه هو وزوجته بعض ما يصلح شأنهما من مالها الخاص ، وساعد دارسى ووكهام فى الحصول على منصب خير من منصبه الأول فى الجيش . إكراً لما لا يزال . ولم يكن يسمح لوكهام أن يزور بميرلى ، ولكن ليديا كانت تستقبل هناك من حين إلى حين ، غير أنهما كانا يطيلان

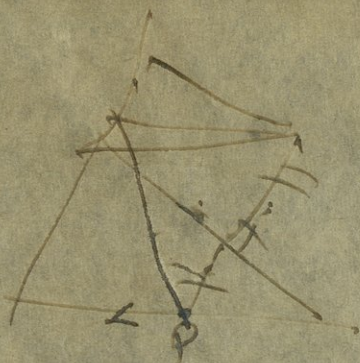
المكث عند آل بنجلى حتى تضايق من هذا بنجلى نفسه رغم رقة طبعه
وتضايقت الأنسة بنجلى من زواج دارسى ، ولكنها اضطرت
إلى أن تكون مؤدبة مع الزبث لرغبتها في زيارة بيمبرى ومشاهدة أخيها .
وانتخذت جورجيانا الآن مسكنها في بيمبرى ، وكان ما نشأ بينها
وبين الزبث من الحب هو بالضبط ما كان يأمل فيه دارسى . وكانت
جورجيانا ترى أن الزبث أحسن خلق الله طرا . على أنها كانت في
مبدأ الأمر تستمع بدهشة ، تقرب أحيانا من الرعب ، إلى الطريقة
الفكهة المرححة التي كانت تتحدث بها إلى أخيها . ذلك أن جورجيانا
كانت أخته الصغرى ولهذا فإنها كانت تشعر نحوه باحترام يكاد يطفى
على ما في قلبها من حب له .

وغضبت السيدة كثرين أشد الغضب من زواج ابن أخيها ،
وعبرت عن غضبها هذا في خطاب ملأته بضروب من الإهانة
والتحقير الموجهة إلى الزبث ، كان من أثرها أن أنقطعت كل علاقة
المودة بين الاثنين . وانتقل آل لوكاس بعد زمن قليل جداً إلى
« دارلوكاس » واعتزموا الإقامة فيها حتى تسكن العاصفة . وقد سكنت
فعلا في آخر الأمر حين أقنعت الزبث زوجها بالسعى إلى مصالحتها .

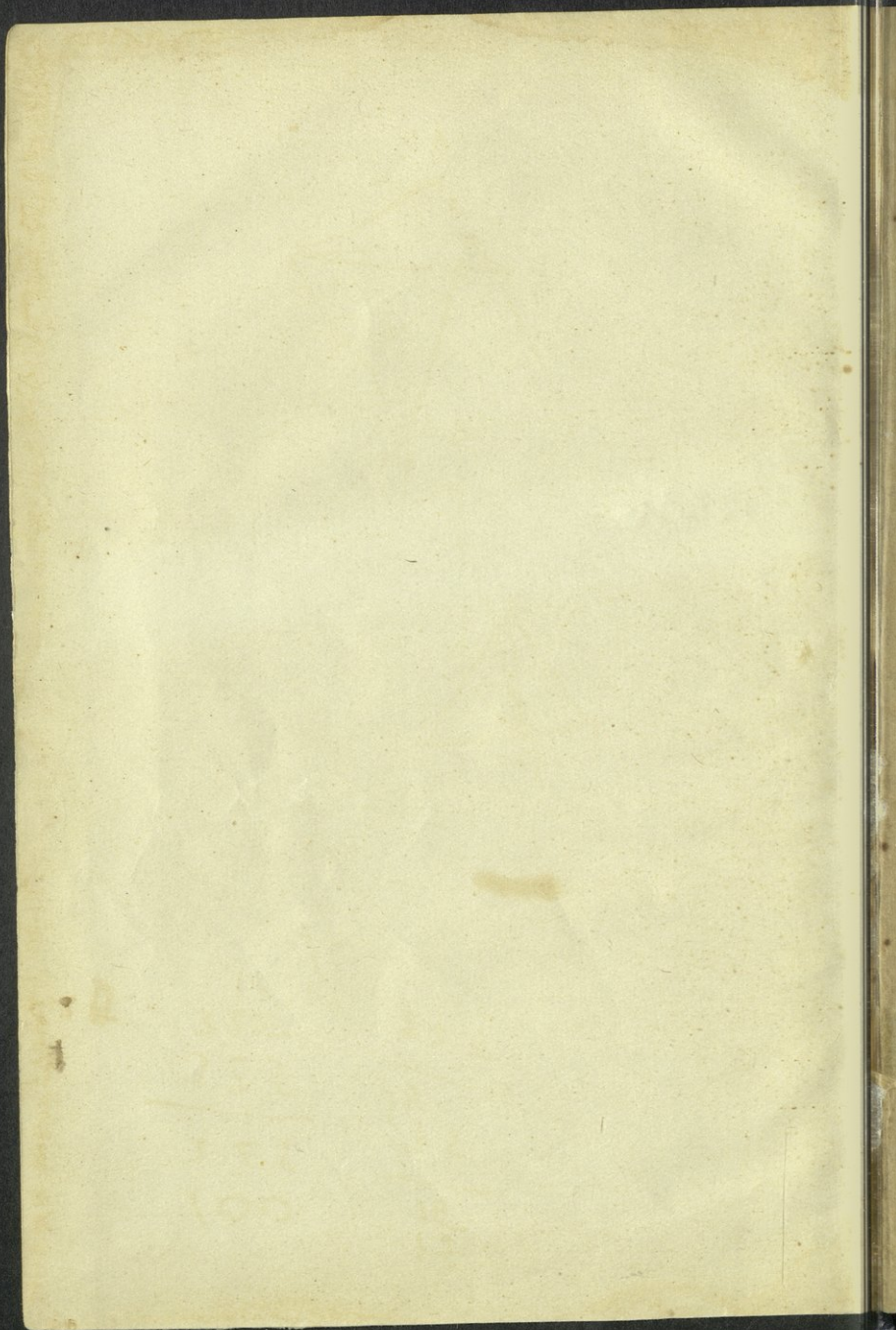
أما آل جاردنر فقد كان دارسى وزوجته معهم في صفاء ليس
بعمده صفاء . فقد كانا يحببانهم حقاً ، وكانا يشعران على الدوام بالشكر
الخالص للقوم الذين جاءوا بالزبث إلى دربي شير فكانوا بذلك سبباً
في الجمع بينها وبين زوجها .

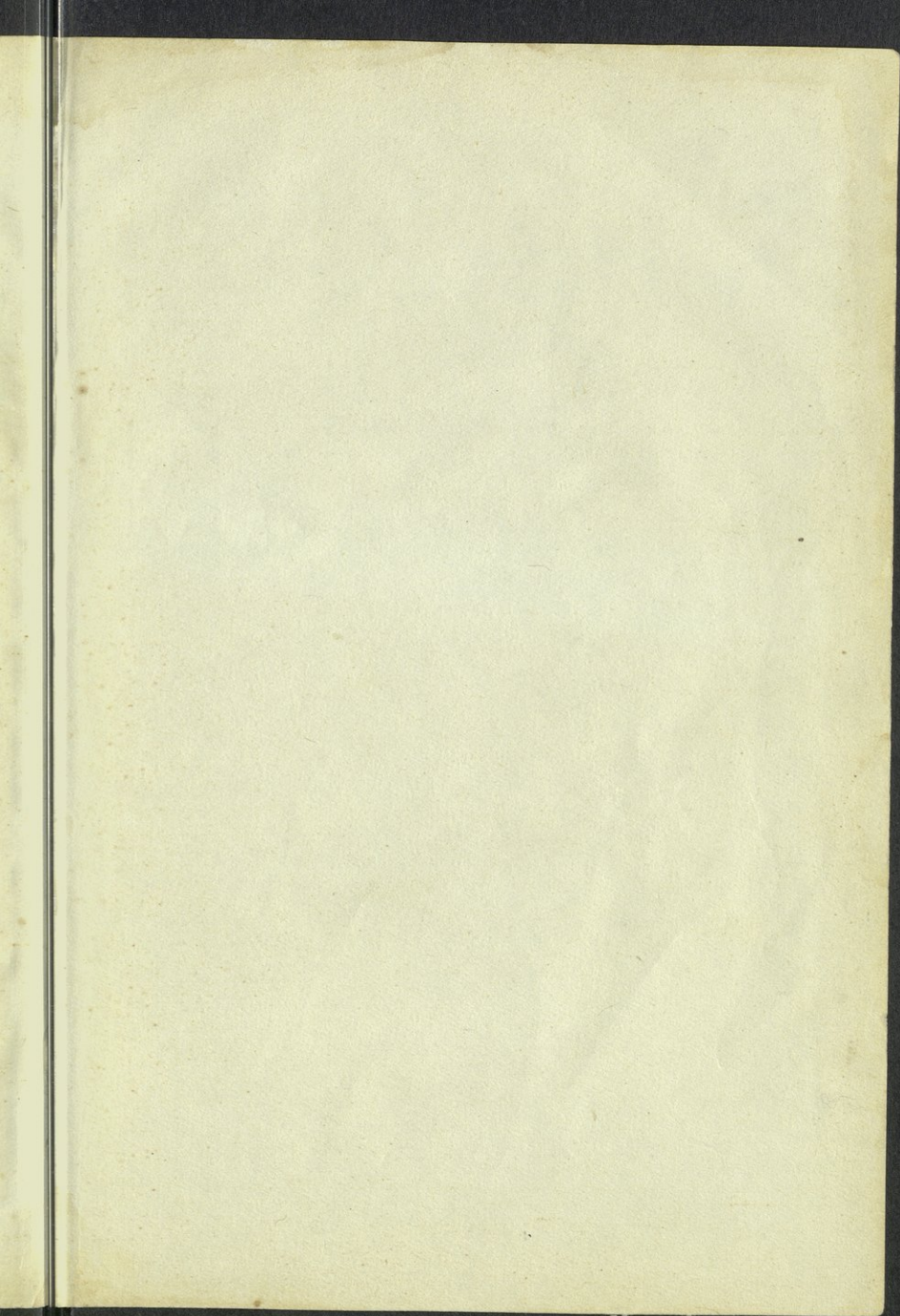


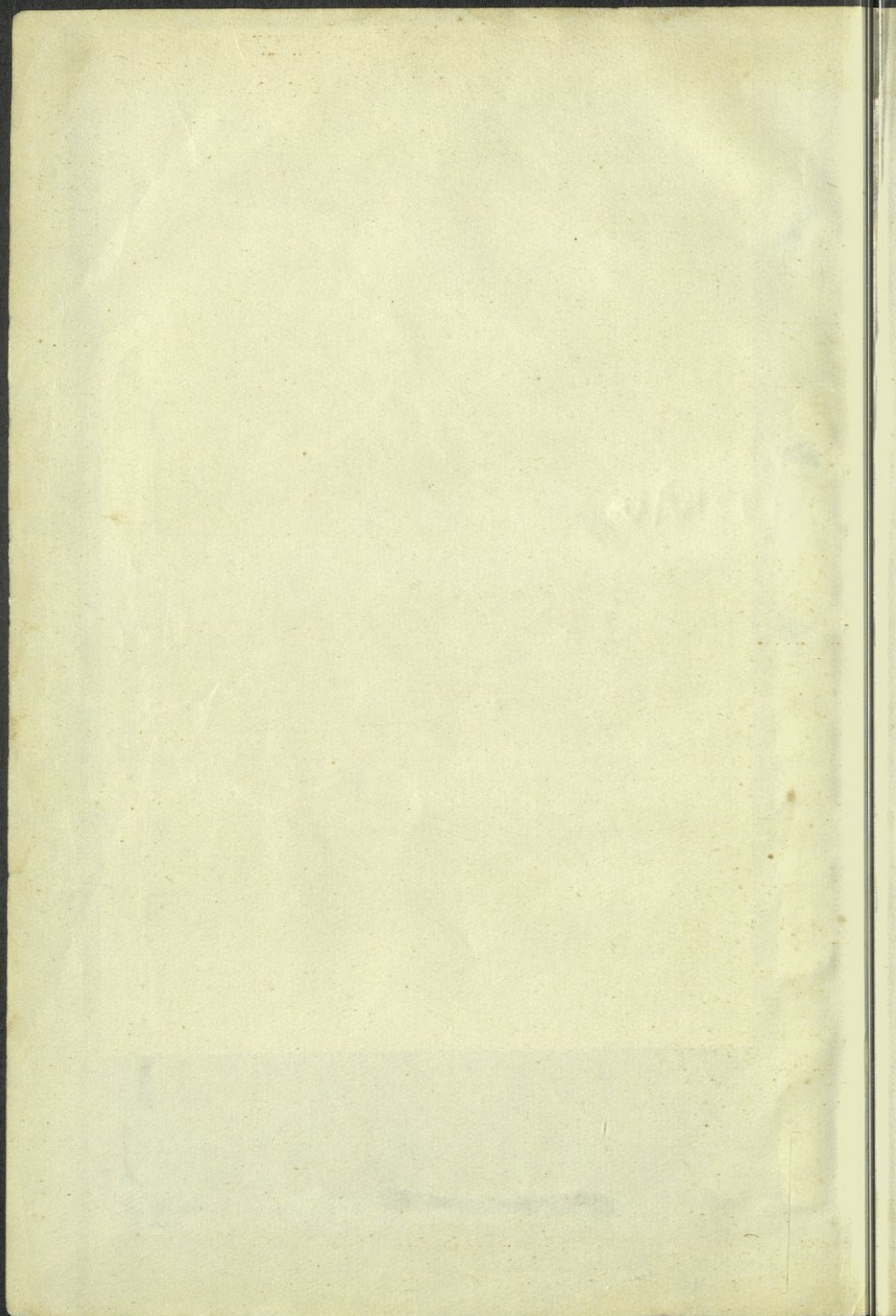
	10	11	
	19	18	
52	352	832	
1	252	12	
		32	
	352		
	100	12	
		12	



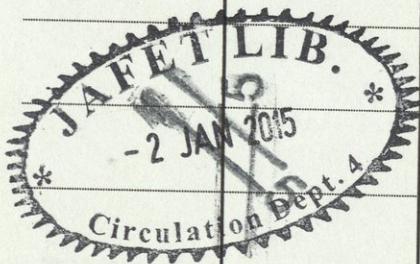
$$\begin{array}{r}
 81 \\
 14 \\
 21 \\
 \hline
 528 \\
 825 \\
 \hline
 51 \\
 75 \\
 \hline
 51 \\
 51 \\
 \hline
 15
 \end{array}
 \qquad
 \begin{array}{r}
 81 \\
 14 \\
 21 \\
 \hline
 522 \\
 525 \\
 \hline
 572 \\
 100 \\
 \hline
 100
 \end{array}
 \qquad
 \begin{array}{r}
 20 \\
 1
 \end{array}$$







DATE DUE



828:A933prA:c.1

بدران، محمد

الكبرياء والهوى

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031929

828

A933prA

